سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الثالثة | العدد (156) | 14 أيلول 2014

ثلاثة من كل أربعة فقراء
الاقتصاد السوري يطحن نفسه

"السخرة".. انتهاك جديد
على يد "قوات الدفاع الوطني"

من داخل سجن صيدنايا:
"أنقذونا، افضحوهم، رح نموت كلياتنا!"

دليل الفلسطيني الجديد
للهرب عبر الحدود

سوري يمر من أحد أحياء حلب مع مساعدات تقدمها الأمم المتحدة | AFB

أكبر عملية اغتيال عسكرية تودي بحياة قياديي حركة "أحرار الشام"

استهدف يوم الثلاثاء الفائت مقر قيادة عملية حركة أحرار الشام في بلدة رام حمدان في ريف إدلب، في أوسع عملية اغتيال عسكرية، راح ضحيتها حسان عبود زعيم الحركة والمعروف باسم أبو عبد الله الحموي، إلى جانب 50 قيادي من رفاقه، من بينهم محمد الشامي المعروف باسم أبو يزن الشامي عضو مجلس شورى الجبهة الإسلامية، وأبو أيمن رام حمدان مسؤول مكتب التخطيط العسكري للحركة، إلى جانب أبو طلحة العسكري القائد العسكري للحركة، وابو عبد الملك الشرعي وهو شرعي في الجبهة الإسلامية.

وفي الوقت الذي تضاربت فيه الأنباء حول الجهة المنفذة للهجوم، دون تبني أي طرف، رغم الشكوك التي تثار حول تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" ومثلها نحو النظام، فقد صرحت بعض المصادر الطبية بأن الهجوم تم باستخدام غازات سامة ترافقت مع التفجير بسبب العلامات الظاهرة على الجثث.

وقد أدت حادثة إلى موجةٍ من التنديدات بالعملية من جهاتٍ معارضة مختلفة، حيث أدان الائتلاف اغتيال قادة حركة أحرار الشام، في بيان أصدره يوم الأربعاء، اعتبر فيه مرتكب هذه "الجريمة" ليس إلا "عدواً للشعب السوري وثورته أياً كان". مشيراً إلى ضرورة أن تطال العدالة "المجرمين وكل من تلطخت أيديهم بدماء السوريين"، في حين وصفت الحكومة المؤقتة في بيانها الحدث بأنه "عمل إجرامي ونكسة في مسيرة الثورة"، مؤكدةً على أن "الحركة حاربت النظام والتطرف" ما يثبت "الصبغة المعتدلة التي تصبغها" على حسب وصف البيان.

من جانبه أصدر الجيش الحر بالإضافة إلى كتائب إسلامية، عدد من البيانات المنددة بعملية الاغتيال، حيث قدم قائد "جبهة ثوار سوريا" جمال معروف بيان عزاء للحركة، وصف خلاله العملية "بالخسيسة والجبانة"، بدورها نعت "الجبهة الإسلامية" في بيانٍ لها العملية، ووعدت بالثأر لهم، من جانبها نشرت حركة نور الدين الزنكي بياناً، أكدت فيه على "مشاركة احرار الشام مصابها في مقتل قياديها، مؤكدة أنها "لن تتوانى عن نصرتها والثأر للقياديين".

وسارعت حركة أحرار الشام إلى تعيين المهندس هاشم أبو جابر قائداً عاماً، وأبو صالح طحان قائداً عسكرياً عاماً.

وفي أول تصريح له، عزى أبو جابر القائد العام الجديد للحركة عناصر أحرار الشام بمقتل القيادين، مشيراً إلى أن هؤلاء القادة "كانوا دعاة تجمع لا فرقة، وقضوا على ما اجتمعوا عليه". وتوجه أبو جابر من خلال كلمته المصورة إلى ما أطلق عليهم اسم "مجاهدي الشام"، مؤكداً التزام الحركة بعهودها وأهدافها، وطالب العناصر "بالصبر والثبات رغم المحنة، وعدم التفرق جراء المصيبة"، منوهاً إلى مواصلة أحرار الشام "الطريق التي رسمها الشهداء بدمائهم".

تركيا تفتح أبواب جامعاتها للسوريين

سوريتنا | مهلهل إسماعيل

أعلنت الحكومة التركية عن سماحها للطلاب السوريين باستكمال دراستهم في جامعاتها من السنة الدراسية التي توقفوا عندها، مقدمةً لهم تسهيلاتٍ في الأوراق الثبوتية المطلوبة والاكتفاء بحدٍ يسيرٍ منها، إلا في ما يتعلق بدراسة الطب البشريّ والصيدلة، وذلك بحسب تصريح وزير التعليم في الحكومة السورية المؤقتة محي الدين بنانة، إثر لقاءه الأخير بأمين عام رئاسة الجمهورية التركية وعضو مجلس إدارة هيئة التعليم العالي (YOK) مصطفى إيسين في أنقرة، ضمن التعاون الذي تعمل عليه الحكومة المؤقتة مع نظيرتها التركية لاستصدار قوانين وتشريعات تسهل عملية دراسة السوريين.

حيث أعلنت تركيا نيتها لاستيعاب أكاديميين سوريين من اختصاص اللغة العربية والشريعة في جامعاتها بعد اجتيازهم الإجراءات الإدارية، كما قدمت في وقتٍ سابق منحة دراسية تشمل خمسة آلاف طالب سوري، بحيث لا تتجاوز نسبة المتقدمين عن 10٪ من إجمالي عدد المتقدمين في أية جامعة تركية. كما صرح مصدر في وزارة التعليم في الحكومة المؤقتة أنهم بصدد دراسة مشروع إقامة جامعة سورية في تركيا.

وكان العديد من الطلاب السوريين قد تم إيقافهم قسراً عن دراستهم في جامعاتهم، سواءً بسبب أجواء الحرب الدائرة في البلاد، أو بسبب الاعتقال التعسفي، أو بسبب طلبهم للخدمة الإلزامية، بالإضافة إلى الطلاب الذين تم فصلهم من كلياتهم، حتى جنح النظام إلى إلغاء أسماء بعضهم من قوائمه دون أي دليل على دخول الطالب للكلية في يوم من الأيام، لاغياً كل سنوات دراسته السابقة عن طريق قوائم فصل سرية جداً لا يمكن لأحد الاطلاع عليها كي لا يستفيد الطلاب من اية منح في الخارج، وحالات كثيرة أخرى.

ليصير الحل الوحيد أمام من استطاع سبيلا هو السفر بحثاً عن العلم، لتشكل دول اللجوء القريبة، (تركيا ولبنان والأردن ومصر) الوجهة الرئيسية لطلاب الجامعات، وبالفعل فقد شكلت تركيا بوابةً علميةً كانت الأسهل في التعامل مع السوريين من الناحية الإدارية وما تقدمه من تسهيلات مادية، إلا أن الصعوبة تكمن في مناهج التدريس والوصول إلى الجامعات التي تتطلب اجتياز اختباراتٍ وامتحانات، وليس بآخرها امتحان اللغة التركية الرسمي المعتمد من الحكومة والمسمى بتومر (TOMER).

في المقابل، استطاعت فئة قليلة من الطلاب السوريين الحصول على منح دراسية في بلدان الاتحاد الأوروبي وألمانيا على وجه الأخص، ولكن العديد ما زالوا يتهمون دول الغرب ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية بأنها مستمرة بتقديم خدماتها الدراسية عن طريق علاقتها مع النظام في مكاتبها في دمشق، ليتم اختيار الطلاب الذين ينالون رضا النظام للحصول على المنح.

وضمن هذا التزايد في أعداد الطلاب واختلاف الحالات، صار من الملح إيجاد حلول جذرية لتأمين حق التعليم لجميع المنقطعين عنه، وذلك عن طريق خطواتٍ جدية من جهات المعارضة المنظمة (الحكومة المؤقتة والائتلاف) لإنقاذ جيلٍ من السوريين.

استشهاد الصحفيين محمد العران ومحمد عبد الجليل القاسم

الشهيد محمد عبد الجليل قاسم

الشهيد محمد العران أبو يامن

ضمن سلسلة الإنتهاكات التي يتعرض لها الصحفيون في سوريا، استشهد كل من الصحفيين محمد العران في دير الزور ومحمد عبد الجليل القاسم في إدلب خلال الأسبوع الفائت.

حيث أعدم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الناشط الإعلامي محمد العران المعروف باسم أبو يامن، وذلك بعد اعتقاله لعدة أيام في مدينة البوكمال شرق دير الزور، حيث قام عناصر من التنظيم بذبح العران ليلة أمس في ساحة مدينة الميادين شرق دير الزور. بذريعة اتهامه بأنه مرتد ومن الواجب ذبحه وصلبه.

ويعتبر العران من أوائل الناشطين المدنيين في البوكمال وقد صوّر بكاميرته تفاصيل سيطرة الجيش الحر على البوكمال وعدة نقاط بريف دير الزور، والعديد من التقارير الأخرى.

وأفاد مصدر إعلامي من مدينة الميادين لموقع "الحل الإعلامي" بأن تنظيم داعش قدّم "ديّة" لأهل أحد المدنيين الذي أعدمه التنظيم سابقا، حيث اعترف التنظيم بخطأ في الحكم الشرعي عليه، فيما رفض أهل الشاب "الودية" وطالبوا بإعدام من أعدم ابنهم.

في حين استشهد الأربعاء الماضي 10 أيلول الصحفي محمد عبد الجليل القاسم (24 عاما) في إدلب بكمين نفذه مجهولون أثناء عودته من تغطية إعلامية في مدينة معرة النعمان بريف المدينة.

وقد تعرض القاسم لاعتداء من مسلحين مجهولين بالرصاص عندما كان برفقة أحد القادة العسكريين في المنطقة، مما أدى لوفاتهما فوراً.

القاسم عمل مع عدة وسائل إعلام سورية وعربية منها (راديو روزنة، والجزيرة نت)، مزوداً إياهم بتقارير ميدانية من مناطق إدلب وريفها كانت تنشر باسمه الحركي خالد المحمد.

يذكر أن سوريا تصنف بأنها "البلد الأكثر فتكاً بالصحفيين" بناء على تقرير نشرته لجنة حماية الصحفيين، بالإضافة لتقارير حقوقية عالمية متعددة تصف سوريا بأنها المكان الأخطر لعمل الصحفيين.

"السخرة".. انتهاك جديد للسوريين على يد "قوات الدفاع الوطني"

دمشق – أنليل فارس

"لم أتوقع يوما أن أحرق جثة إنسان"، برعشة عميقة يخبرنا "أمجد طالب جامعي- 24 سنة" عن ذلك المشهد الذي لا يغيب عنه.

ويوضح "أمجد" لـ"سوريتنا"، "خرجت في الصباح من منزلي قاصداً جامعتي، وإذ بمجموعة من المسلحين الموالين يقفون على شارع الزاهرة، يوقفون الشباب ويأخذون بطاقاتهم الشخصية، سرعان ما نادانى أحدهم وأخذ بطاقتي، قلت له أنا طالب ولدي امتحان، فأجابني وهو يبعد نظره عني، لن تأخذ شهادة الدكتوراه اليوم، لا تخف هناك مهمة وطنية ستنفذها وتعود".

ويضيف "ما هي إلا دقائق وضعوني برفقة 10 شبان آخرين، في شاحنة صغيرة وأدخلونا إلى حي التضامن جنوب دمشق، ثم غطوا رؤوسنا، كانت الأبنية شب مدمرة، وقد أعيدت على الهيكل، أنزلونا من الشاحنة، وأمرونا أن ننظف المكان، وبحسب ما فهمت إن المكان هو حاجز لقوات الدفاع الوطني الموالية للنظام"، ويتابع "نظفنا المكان وعبئنا أكياس بالرمل، ثم نادوا لي ومعي أحد الشباب وجعلوني أسحب جثة شاب يبدو أنه بالأربعينيات من عمره يرتدي ملابس مدنية، وأمرونا بحرقها، وقبل غياب الشمس أعادونا، وكان أجر كل منا صفعة".

من جانبه، قال زهير، عامل من دمشق، لـ"سوريتنا"، "سبق أن اصطحبني عناصر الدفاع الوطني عنوة إلى خط النار في جنوب دمشق مع عدد من الشباب، وجعلونا حينها نضع أكياس الرمل كساتر في نقطة مكشوفة للمقاتلين المعارضين، الذين يسيطرون على جزء كبير من الحي، ما دفعهم يطلقون بعض الأعيرة النارية على الأكياس، قد تكون تحذيرية، فتوقفنا عن وضع الأكياس"، مضيفا "لكن قبل أيام أصيب أحد الشباب بطلق ناري وهو يضع الأكياس كتحصينه لهم".

حاجز ساحة شمدين في ركن الدين أحد أحياء العاصمة

وذكر أن "عددا من الشباب يأخذوهم لحفر خنادق وجور"، لافتا إلى أنهم "تعرضوا لمعاملة سيئة وسيل من الإهانات".

وبدأت ظاهرة العمل السخرة ترهب الشباب المقيمين في محيط دمشق، حيث يبحث الشباب عن دروب تجنبهم الوقوع في يد تلك المجموعات المسلحة، لدرجة أنك تجد النساء ينبهون الشباب عن أماكن تواجدهم.

ومن جهته، قال الدكتور أحمد، لـ"سوريتنا"، إنه "تعرض لذات الموقف ورغم أنه قد أخبرهم أنه طبيب إلا أن ذلك لم يشفع له، فقال إني مصاب بشظية هاون ولا أستطيع العمل، وهناك أشخاص قد تكون حياتهم بخطر، لو أصيب أحدكم وذهب إلى المشفى ولم يجد الطبيب ماذا سيكون مصيره"، فسمحوا له حينها بالمغادرة.

بدوره، قال إياد، ناشط من دمشق، لـ"سوريتنا"، إن "مليشيا قوات الدفاع الوطني سيئي السمعة، يسخّرون مجموعات من الشباب في عدة مناطق من دمشق، للقيام بالأعمال الخطرة أو المجهدة"، موضحا أن "عناصر الدفاع يعلمون أن المقاتلين المعارضين لن يطلقوا النار على المدنيين، ما يجعلهم يستخدمون المدنيين في القيام بالأعمال في المناطق المكشوفة، وفي حال حدث وقتل أحدهم فالمحرقة جاهزة ولن يكون أول مفقود في سورية أو أخره".

وأضاف أن "عناصر الدفاع الوطني تمادوا في استهتارهم بالقانون وكرامات الناس، الأمر الذي يثير استياء بعض مكونات المؤسسة العسكرية التابعة للنظام، إلا أن الرعاية التي يتلقها هؤلاء من الحرس الجمهوري، جعلهم ميليشيا تعتمد العمل الإجرامي من خطف وسرقة وقتل، دون حسيب أو رقيب".

وسبق أن ذكرت تقارير اعلامية أن هناك في مكتب الأمن الوطني التابع للنظام أكثر من 20 ألف تقرير في عناصر الدفاع الوطني، وأكثر من خمسة آلاف مذكرة توقيف، في حيث أصبحوا يشكلون إمارات حرب في دمشق، تعتبر خارج سيطرة مؤسسات الدولة.

المؤسسات التعلمية في الحسكة

20 ألف طالب لا مقاعد لهم وال"YPG" يحول المدارس لمقرات عسكرية

الحسكة - عدنان أبو كنان

مع اقتراب العام الدراسي لهذا العام، يبقى مصير أكثر من 20 الف طالب مجهولاً في ظل سيطرة "وحدات الحماية الشعبية YPG" على العديد من المدارس في مدينة الحسكة خاصة بعد إزياد وتيرة العميات العسكرية في الأحياء الجنوبية للمدينة.

فخلال العاميين الماضيين، قامت "وحدات الحماية الشعبية YPG"، التابعة لـ"حزب الاتحاد الديمقراطي"، باستخدام عدد كبير من المدارس في كافة المناطق التي تفرض سيطرتها عليها كمقرات عسكرية، وبالتالي حرمان آلاف الطلبة من أبناء المحافظة، من حقهم في التعليم.

كل الأخبار الواردة عن بدأ الموسم الدراسي، لا تشي بالتفاؤل، وليس ثمة أمل يلوح في الأفق عن قرب انفراج الأزمة، بعد تحويل "YPG" عدد غير قليل من المدارس في الحسكة وتحويلها إلى معسكرات ومقرات لعناصرها وسجون ومعتقلات لمعارضيها في ظل غياب أي مؤسسة تعليمية أو تربوية.

يقول " ع، م" مدير إحدى المدارس التي استولت عليها "وحدات الحماية الكردية"، في مدينة الحسكة، " قامت مجموعة من العناصر المدججة بالسلاح بالاستيلاء على المدرسة، بعد أن قاموا بتحطيم الأقفال وكسر الأبواب، ونهب محتويات مستودع المدرسة، من أجهزة حواسيب، ومعدات المخبر، وبعض المفروشات الخاصة بالإدارة".

وأضاف " ع، م " رفض هؤلاء العناصر ادخالي إلى المدرسة، وهددوني باستخدام السلاح في حال لم أغادر المكان، غير أبهين بصفتي المهنية كوني مديراً للمدرسة، وعند التقدم بالشكوى لمديرية التربية في الحسكة، كان رد مدير التربية أن أفاوض حزب الاتحاد الديمقراطي، حول إمكانية استعادة المدرسة، التي يستفيد من التعليم فيها أكثر من 1500 طالب وطالبة، في مرحلة التعليم الأساسي".

وتسيطر "الوحدات الشعبية" على مدارس (الوحدة العربية – طلب العزاوي – اسماعيل طوقان – الفراهيدي – محمود درويش – حليمة السعدية – مازن بدران حسين – حامد محفوظ – الثانوية المهنية " الحاسوب" – داوود سعد – شمس الدين – عدنان المالكي...) كلها داخل مدينة الحسكة، اذا يقدر عدد الطلاب المسجلين في هذه المدارس والذين باتوا خارج المقاعد الدراسية بـ 20 الف طالب.

عسكرة المجتمع والقطاعات المدنية، والتعليمية على وجه الخصوص، أثار مخاوف كبيرة لدى أولياء أمور الطلبة، بعدما تسيد اللوحة مشهد الحواجز العسكرية والسواتر الترابية أمام المدارس، وانتشار القناصة على أسطح المدارس.

"لن أغامر بمصير أطفالي، أمام هذا المشهد، مسلحون وأسلحة وقناصة، أمام المدرسة، التي ستكون هدفا لأي طرف، وإذا تطلب الأمر لن أرسلهم إلى المدرسة، في ظل هذه الظروف" بهذه الكلمات عبرت "أم أحمد" عن مخاوفها من اقحام المدارس دائرة الصراع في المحافظة وقلقها على مصير أطفالها.

مفخخات تضرب مدارس اتخذتها «PYD» مقرات بالحسكة

لم يبتعد المدرس " عبود" كثيراً عما ذهبت اليه أم أحمد، حيث يرى أنه من الصعوبة بمكان أن يرسل الأهالي أبناءهم إلى المدارس، في ظل فوضى انتشار السلاح، والمشهد المريع الذي تشهده المدينة هذه الأيام، إذ أكد "أنا معلم في مدرسة يجاورها عدد من المدارس التي يتخذ منها مسلحي الـ pyd مقرات لهم، لا يمكن باي حال أن أرسل طفلتي إلى المدرسة، ومشهد المتاريس الترابية وفتحات القناصة في الجدران، التي تثير الرعب والخوف في نفوس الصغار والكبار".

وأشار " عبود" إلى أنه خلال السنة الفائتة وما سبقها، كانت المدرسة تستقبل مئات الطلاب المسجلين حديثاً في الصف الأول، في المقابل هذه السنة لم يتم تسجيل سوى 14 طالب مستجد، نتيجة المخاوف لدى الأهالي من تحويل المدارس إلى مقرات عسكرية ".

في الوقت ذاته ونتيجة الحرب التي يشنها النظام على "حي غويران" أكبر أحياء مدينة الحسكة، يرتفع عدد المدارس إلى العشرات التي لن تستقبل أي طالب هذا العام إذا يحتوى الحي على عدد من المدارس أصبحت نتيجة العمليات العسكرية خارج الخدمة، وبالتالي تتفاقم مشكلة الطلبة في مدارس الحسكة.

ولا يختلف الحال كثيراً في جنوب الحسكة، حيث يسيطر "تنظيم الدولة الاسلامية"، إذ باتت عشرات المدارس رهينة إدارة التنظيم، وفي حال قدمت هذه المدارس خدمات تعليمية فمن خلال منهاج غير كامل بعد حذف مواد (التربية الموسيقية، والتربية التشكيلية، والفيزياء) وتعديل البعض الأخر كالرياضيات واللغة العربية وحذف أي مثال يدل على الفوائد الربوية أو يشير إلى الديمقراطية أو الانتخاب، إضافة لحذف أي شيء في مادة العلوم يتعلق بنظرية داروين أو رد الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم، ورد كل الخلق للّه سبحانه وتعالى..

وإجبار المدرسيين الراغبين بالتعليم الخضوع لدورات شرعية في معاهد التنظيم المنتشرة في جنوب الحسكة.

سيطرة الأطراف المتصارعة على المؤسسات التعليمية واستخدامها من أجل أغراضها العسكرية أو رؤاها الدينية الخاصة جعل من الطلبة الخاسر الأكبر من ذلك الصراع.

«YPG» في م بلدة تل برك في ريف الحسكة | الصورة: مقتفطات حرة

حكومة النظام تحدد أولوياتها..
إعادة الأمن ومكافحة الإرهاب في الصدارة

دمشق – أنليل فارس

كشفت حكومة النظام عن الملامح الأساسية لبيانها الوزاري، والذي صدرته تحت شعار "حماية الوطن وإعادة بنائه"، مبينة أنها ستستند لـ"الدستور" وخطاب قسم بشار الأسد وكلمته التوجيهية للحكومة، والإعداد لمرحلة "إعادة الإعمار"، مبينة أنه سيكون عنوان المرحلة القادمة.

وحدد مشروع البيان أولويات عمل الحكومة، التي تصدرها إعادة الأمن والأمان للوطن والمواطنين ومكافحة الإرهاب، وتعزيز المصلحة الوطنية، والإغاثة والإيواء والاستجابة الإنسانية، وتحسين الواقع المعيشي، والاهتمام بذوي الشهداء ومتابعة شؤونهم، والإصلاح الإداري ومكافحة الفساد، والإصلاح القضائي، والتهيئة لعملية إعادة الأعمار، والتعاون الدولي في كال المجالات، وتعزيز دور المجتمع الأهلي والمنظمات غير الحكومية".

بدوره، قال أحمد ناشط حقوقي من دمشق، لـ"سوريتنا"، إن "حكومة النظام تضع مشاريع أكبر منها ومن عمرها الذي لن يصل لنحو العام تقريبا، وخاصة أنها تتحدث عن تتحدث عن الأمن والأمان ومكافحة الإرهاب، في حين أصبح معروف لدى الجميع أن النظام يرعى الإرهاب في محاولة منه، دفع الغرب لمد يده للنظام، لمحاربة الإرهاب وخاصة أنه يقدم نفسه على أنه المؤسسة الوحيدة المنظمة والمنضبطة، ما يجعلها القادرة على تنفيذ هذه المهمة، فقط مقابل اعادة الشرعية له، وقبل أيام كان وزير خارجيتهم وليد المعلم يستجدي الغرب لذات الهدف".

ويضيف "أما شعار المصالحة الوطنية، التي يعمل على تصديرها، ما هي إلا أكذوبة كبيرة، لأن ما يسميها مصالحة تقوم على الجوع والحصار وليس على تفاهمات وطنية تفضي إلى بناء وطن ودولة، في وقت يتنصل هو من مسؤوليته التي تصدر لها، وخاصة الإنسانية وهذا جلي بأزمة اللاجئين السوريين المحتجزين على المعابر الحدودية اللبنانية، إضافة إلى مئات العائلات السورية التي تفترش الطرقات، يقاسون أسوء الحالات الإنسانية".

ولفت إلى أن "سياسات النظام طوال السنوات الماضية، كانت تستهدف إفقار المواطن السوري، والمزري أنها تتبجح بشعارات وهموم هي أبعد ما يكون عنها، وذلك وضح في رفع الدعم عن العديد من المواد الأساسية، تحت شعار إيصال الدعم لمستحقيه، فطار الدعم والناس تنتظر"، معتبرا أن "الإصلاح الإداري والقضائي مهزلة سورية تستند إلى أن الأسد هو المعارض الأول، لأن القائمين على الإصلاح هم ذاتهم المفسدين وبرعاية أمنية خاصة".

وقال إن "إعادة الإعمار هي عملية تهدف لتسديد ديون النظام الذي أغرق البلاد فيها، وبدأ اليوم يقدم عقود إعادة الإعمار للدول، التي ساندته طوال السنوات الماضية"، لافتا إلى أنه "لا يسمح بالعمل المدني إلا لمجموعات تشبهه وعلى رأسها منظمة الهلال الأحمر، التي يشوبها الكثير من الفساد".

كما تناول مشروع البيان الوزاري المحاور القطاعية في العمل الحكومي، متضمنا التنمية البشرية والتي تشمل الصحة والتربية والتعليم العالي والثقافة والأوقاف والشؤون الدينية، والبنى التحتية والقطاع الطاقوي والتي تشمل النفط والغاز والكهرباء والموارد المائية والصرف الصحي والنقل والاتصالات والتقانة والأشغال العامة والإسكان والتنمية العمرانية، القطاع الإنتاجي الذي يشمل الزراعة والثورة الحيوانية والصناعة والسياحة والتجارة، والإدارة المحلية، وأهم السياسات الحكومية لتحقيق الأولويات من خلال اعتماد سياسة مالية ونقدية والاستثمار والتشاركية واعتماد سياسة اللامركزية في التنمية وكذلك تطوير السياسة الإعلامية".

الأمر الذي اعتبره أحمد، "مجرد حبر على ورق، لأننا سبق أن جربنا هذه الحكومة ونعلم إمكاناتها وعقليتها، وبالاستناد إلى الخبرة السابقة، أعتقد أنها تبيع الوهم من جديد للسوريين ولن تحقق سو المزيد من التدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي".

الحكومة السورية المؤقتة تسلم أجهزة طبية وأدوية لمشافي ميدانية ومراكز صحية بريف إدلب

سوريتنا - وكالات

قالت الحكومة السورية المؤقتة اليوم الجمعة، أنها سلمت "أجهزة ومعدات طبية جديدة" لمشفيي جرجناز والهائد في جبل الزاوية بريف إدلب.

وذكر تقرير للحكومة السورية المؤقتة نشر على موقعها الرسمي، أن مديرية الصحة في إدلب سلمت أمس الخميس، جهاز تحميض صور شعاعية وجهاز أشعة متنقل للمشفيين.

كما سلمت المديرية، أدوية ومستهلكات طبية، تضمنت حقناً للحمى التيفية لمشفى البشيرية الميداني، ومستوصف الضهر ومركزي كفر تخاريم وأبين للخدمات الطبية.

وبحسب الحكومة المؤقتة، تسعى وزارة الصحة من خلال مديرياتها في المناطق المحررة، إلى تأمين المعدات والتجهيزات الطبية، والأدوية اللازمة لرفع أداء المشافي ومراكز الخدمات الطبية هناك.

وفي السياق ذاته، قامت مديرية صحة إدلب بتدريب كوادرها والفرق المتطوعة لديها على آلية التلقيح ضد الحصبة وطرقه الطبية المتبعة في كل من مناطق "جبل الزاوية وكنصفرة والتمانعة والضهر".

يذكر أن الجولة الثانية من حملة التلقيح ضد مرض الحصبة ستبدأ خلال الأيام القليلة القادمة في المناطق المحررة بإشراف مديريات الصحة وبالتعاون مع المنظمات والهيئات المعنية.

من داخل سجن صيدنايا: "أنقذونا، افضحوهم، رح نموت كلياتنا!"

شهداء تحت التعذيب وأهالي المعتقلين يطالبون بتدخل دولي

■ دمشق – فؤاد الأحمر

الملازم الأول مصعب محمد المعتقل في سجن صيدنايا قال لأمه في آخر زيارة له: "افضحوا السجن، قولوا للإعلام كل يوم عم يقتلوا خمسة، بدن يقتلونا كلياتنا، عم يعذبونا، رح نموت من الجوع". لم يستطع مصعب إكمال الكلام الذي كان يريد أن يقوله لأمه، كون أربعة من العساكر انهالوا عليه بالضرب أمامها عندما سمعوه "يفشي" أسرار السجن، حسب ما تؤكد والدة مصعب، والتي تبحث اليوم عن إعلاميين –عملا بالوصية- يوصلون صوت ابنها ورفاقه من داخل السجن إلى الناس والمجتمع الدولي، آملة أن يتدخل أحد لإنقاذ حياة معتقلي صيدنايا. كانت توصية أم مصعب هي ألا أذكر اسم ابنها في تحقيقي هذا خوفا على حياته، ولكن مصعب استشهد تحت التعذيب بعد أن قدم حياته لإيصال رسالته. أراد أن ينجو رفاقه من بعده. أم مصعب همّها الحالي هو إيصال صوت الشهيد، استغاثته ورفاقَه.

اعتقل الملازم مصعب محمد منذ قرابة الثلاث سنوات، بتهمة النية في الانشقاق عن الجيش. قضى ستة أشهر في فرع 293 للتحقيق، بعدها حُول إلى سجن صيدنايا العسكري الذي يقع في منطقة جبلية قرب العاصمة دمشق. تروي أم مصعب: "زرت ابني أربع مرات في السجن، في كل زيارة أجد على وجهه الكدمات وأراه قد فقد من وزنه أكثر. في الزيارات الثلاث الأولى كان يقول لي إنه بخير، ويحاول أن يطمئنني، كان أيضا يسأل عن زوجته وأولاده، ولكنني كنت أشعر بأن ابني يعذَّب دون أن يستطيع الكلام. كنت أرى الحزن والعذاب في عينيه، وبقيت أرجو عودته، إلى أن شاهدت جثته في براد المستشفى العسكري، وعلى جسده آثار التعذيب الذي أودى بحياته".

في كل يوم شهيد تحت التعذيب

في كل يوم يقتل العديد من المعتقلين في سجن صيدنايا نتيجة التعذيب الشديد، لا تخفي إدارة السجن جثث المعتقلين الذين يقتلون داخل السجن، بل ترسلها إلى مستشفى تشرين العسكري، حيث تتصل إدارة السجون العسكرية بأهالي المعتقلين لكي يستلموا جثث أبنائهم دون أن يفصحوا عن سبب الوفاة، أما المعتقلون الذين يقتلون نتيجة تنفيذ أحكام إعدام صادرة عن محكمة الميدان العسكري فلا تسلم جثثهم إلى أهلهم.

يقول مجد، وهو رقيب منشق كانت خدمته الإلزامية في داخل سجن صيدنايا العسكري: "المحكمة ليس لها علاقة بعمليات قتل المعتقلين، إدارة السجن هي التي تمارس التعذيب الجماعي الشديد على كافة المعتقلين وتكون عملية القتل عشوائية عادةً. من كانت لديه قدرة تحمل هذا التعذيب بقي على قيد الحياة حتى الآن، أما الذين لم يستطيعوا فقد قضوا شهداء في الصمت والظلمة. عملية التعذيب ليس لها علاقة بجرم المعتقل، فإدارة السجن لا تعلم شيئا عن "الجرائم" التي سُجن على أساسها هؤلاء المعتقلون".

إعدام ميداني والجثث في الغابة المحيطة بالمبنى

في يوم الثلاثاء والخميس من كل أسبوع هناك تنفيذ لأحكام إعدام داخل السجن، وحسب ما قال الرقيب المنشق مجد، فإن توقيت الظهيرة يومي الثلاثاء والخميس، يشهد إرسال محكمة الميدان العسكري قائمة كتب عليها أسماء معتقلين لكي تنفذ فيهم أحكام الإعدام.

يضيف مجد: "يشرف مدير السجن شخصيا على عملية الإعدام. عند الساعة العاشرة يُجمع المعتقلون الذين سوف تنفذ بهم عمليات الإعدام من مهاجعهم، وغالبا ما يكون عددهم بين خمسة إلى عشرة، ويدخل مدير السجن مع أحد الضباط وبعض العساكر الموثوق بهم إلى غرفة المشانق في الطابق الأرضي للجناح (ب يسار) (حسب ما يسميه السجانون)، وخلال نصف ساعة يخرجون من الغرفة بعد أن تكون عملية الإعدام تمت، لتأتي في الصباح شاحنة تابعة لمستشفى تشرين العسكري فتحمل الجثث بعيدا عن أعين عساكر السجن وتأخذها إلى المستشفى، كما قام مدير السجن في الفترة التي قطع فيها الطريق عن السجن برمي جثث المعتقلين في الغابة المحيطة بالمبنى".

معظم المعتقلين في سجن صيدنايا العسكري حكم عليهم بأحكام قاسية، ويحاكم جميع المعتقلين في محكمة الميدان العسكري. وهذه عبارة عن محكمة تعمل في الخفاء ولا يعترف النظام السوري حتى اليوم بوجودها، وقد حلت مكان محكمة أمن الدولة التي ألغيت في بداية الثورة السورية خلال النصف الأول من العام 2011، تطلب هذه المحكمة المعتقل مرة واحدة بعد أن يكون قد مضى على اعتقاله عام واحد على أقل تقدير، فيدخل المعتقل غرفة المحاكمة وتُفك عصبة العينين ليرى أمامه لجنة المحكمة، التي تتألف من لواءين عسكريين تابعين للشرطة العسكرية، أحدهما رئيس فرع الشرطة العسكرية، وهو رئيس محكمة الميدان العسكري، واللواء الآخر هو رئيس المحكمة العسكرية في دمشق، كما يوجد في اللجنة ضابطان تابعان لفرع الأمن العسكري يرتديان لباسا مدنيا، ولا تطول فترة المحاكمة أكثر من خمس دقائق يُقضى بعدها بحكم لا يقل عن السنوات العشر، وذلك وفقا لأوراق (الضبط) القادم مع المعتقل من فرع الأمن الذي حوله للمحكمة، ولا يستطيع المعتقل أن يدافع عن نفسه أو يقدم أي أدلة تثبت براءته، أو يوكل محاميا يدافع عنه، كما أن حكم هذه المحكمة غير علني، بل سري يسجل في ديوان المحكمة ولا يستطيع أحد من أهالي المعتقلين الاطلاع على هذه الأحكام.

ضباط السجن ينتقمون من المعتقلين لاغتيال العميد طلعت محفوظ

بعد أن اغتالت مجموعة من الجيش الحر رئيس السجن السابق العميد محمد طلعت محفوظ ونائبه أزداد، توحش ضباط السجن وساءت معاملتهم للسجناء. ويقول عمر، وهو معتقل سابق في سجن صيدنايا العسكري: "في إحدى الليالي الشتوية الباردة وعند منتصف الليل استيقظنا على أصوات الأكبال، وهي تنهال على أجساد المعتقلين في المهاجع، التي تقع في الجناح المجاور لجناحنا فأصبحنا نعد الأبواب التي فتحت فكانت عشرة أبواب، فعرفنا حينها أن العقاب جماعي، كون جميع المهاجع في الجناح المجاور عوقبت، فأصبحنا ننتظر دورنا ونقرأ آيات القرآن وندعو الله أن يعمي عيونهم عنا، فتح باب جناحنا وكان أول صوت سمعته هو صوت الضابط الذي نسميه الضابط الطرطوسي. كان يقول: (والله لناخد بالتار يا معلم). لم أفهم هذه العبارة ولم أفهم لماذا في هذه الليلة كان العذاب وحشيا ولماذا قاموا بتعذيب جميع المعتقلين، ولماذا مات في هذه الليلة خمسة معتقلين من جناحنا تحت التعذيب، حتى حولتُ بعد فترة إلى سجن مدني في إحدى المحافظات فعلمت أن مدير السجن اغتيل على يد الجيش الحر في هذه الليلة. رغم كرهي الشديد لهذا الضابط الظالم لكنني تمنيت لو لم يمت، خوفا على المعتقلين الذين بقوا في السجن فبعد موته. لقد توحش بقية ضباط السجن وأصبحوا يريدون أن يأخذوا بثأرهم عن طريق تعذيب المعتقلين حتى الموت".

معتقلو صيدنايا لا ينتظرون شيئا من المعارضة ويأملون عفو بشار الأسد

تعتيم تام من قبل النظام على ما يحدث في داخل سجن صيدنايا العسكري، يتخذ النظام إجراءات شديدة لكي لا تتسرب معلومات من داخل السجن إلى خارجه. حتى العسكري المفروز إلى داخل السجن لا يعلم كم هو عدد المعتقلين داخله، وهو غير مخول حتى بمجرد سؤال المعتقلين عن أسمائهم أو أحكامهم، ولا يسمح للمعتقلين بالتحدث عن الأوضاع القاسية لأهاليهم أثناء الزيارات. يشرح لنا الرقيب المنشق مجد: "يشدد مدير السجن على العساكر الذين يخدمون في السجن ويمنعهم من الاختلاط بالمساجين، وكل مجموعة من العساكر مسؤولة عن جناحين، ولا يسمح لهم بالتنقل بين الأجنحة الأخرى، كما عاقب مدير السجن بعض العساكر بعد أن وصلته وشايات حول تعاطفهم مع مساجين من نفس قراهم. هؤلاء عوقبوا بالسجن لمدة شهرين".

يُغَيَّبُ المعتقلون داخل السجن، تغييبا تاما عما يحدث في الخارج من تطورات عسكرية وسياسية وغيرها، فيلجئون إلى تحليل أبسط التفاصيل التي تجري داخل السجن، ليستنتجوا منها معلومات عن الوضع في الخارج، ويعتمدون أيضا على المسجونين الجدد، مع أن الواحد من هؤلاء الجدد كان قد أمضى على الأقل ستة أشهر في أفرع الأمن وشهرين في منفردات السجن، قبل أن يدخل المهاجع الجماعية. المعلومات التي يعرفها قديمة أيضا.

ويقول المعتقل السابق محمد: "في الفترة الأخيرة من اعتقالي يئست من أن يسقط النظام كما هو الحال لجميع المعتقلين وأصبح أملنا الوحيد هو العفو، وتغييبنا عن الأحداث التي تجري في الخارج زاد من صعوبة السجن فأصبحنا نحلل كل تفصيل، حتى شتائم السجانين أصبحنا نحللها، ونستنتج معلومات من خلال أنواع الطعام التي يأتون بها إلينا، كما أننا لا نستطيع التواصل مع بقية المعتقلين، فنحن محصورون مع ثلاثين شخصا في غرفة واحدة، لا يمكنك أن ترى غيرهم".

معظم المعتقلين في سجن صيدنايا عسكريون، منهم ضباط ذو رتب عالية، وبنيهم صف ضباط ومجندون، أغلبهم اعتقل بتهمة نية الانشقاق أو تسريب معلومات عسكرية، وهناك أجنحة خاصة بالمعتقلين المدنيين الذين اعتقلوا بتهم عسكرية كحمل السلاح أو التعامل مع الجيش الحر. بعد ارتفاع أعداد المعتقلين في السجن حولت محكمة الميدان العسكري عددا من المعتقلين المدنيين إلى سجون مدنية في محافظات مختلفة، ولكنهم بقوا تحت سلطة محكمة الميدان العسكري، ويقدر عدد المعتقلين في سجن صيدنايا الأبيض بـ 3 آلاف سجين، أما في السجن الأحمر فيقدر عددهم بـ 6 آلاف، يتوزعون على 160 مهجعا جماعيا و30 زنزانة منفردة، ويقول عمر: "ازدادت أعداد المعتقلين في السجن بشكل كبير. في مهجعي كان عددنا قبل أن أخرج من السجن 31 شخصا، وكانت العدد يرتفع ولكن كميات الطعام بقيت نفسها منذ كنا 14 شخصا. الحصص نفسها أصبحنا نقسمها على 31".

لعل الزنازين السرية التي يرمي نظام الأسد بمعارضيه إلى غياهبها منذ صعود الأسد الأب إلى السلطة، هي الصفحة الأكثر قتامةً في تاريخ سلالة الاستبداد إياها. مئات الآلاف من المعتقلين بلا محاكمات والمفقودين، يمكن إنقاذهم فقط بجهد جماعي تضامني عنيد، يطرق كل الأبواب ويملأ العالم بالصراخ لأجل من لن تقوم قيامة البلاد نحو الخير والتقدم، إلا بإنهاء قضيتهم نهاية عادلة، وتسليم كل مرتكبي الانتهاكات والجرائم ضد الإنسانية إلى قضاء منصف. بمعنى آخر يجب أن تصل صرخة مصعب ورفاقه: "افضحوهم..".

أسواق خاصة لتجارة البضائع التركية في ريف إدلب

■ إدلب - عثمان إدلبي

خلقت الحرب فجوات في السوق المحلية وبعد أن لحقق الضرر بالكثير من المعامل الغذائية والصناعية مما أدى إلى توقف انتاجها فأصبح هناك نقص في السلع الأساسية التي كانت تنتج محليا مما جعل التجار يبحثون عن مصادر بديلة تعوض النقص الذي حدث في الأسواق الداخلية ففي محافظة إدلب التي تملك حدود طويلة مع تركيا لجأ تجار المناطق المحررة فيها إلى الأسواق التركية، تملأ اليوم البضائع التركية أسواق إدلب كما أصبح في بعض قرى إدلب الحدودية أسواق خاصة لبيع البضائع التركية كسوق منطقة دركوش وسلقين وحارم، في البداية كان يقتصر بيع هذه الأسواق على المواد الغذائية ولكن التجار اليوم يبيعون الأدوات المنزلية والألبسة وبعض القطع الكهربائية.

قدمت الأسواق التركية خدمة لأبناء إدلب فعوضت نقص السلع التي كانت تنتج في داخل ولكن لم يجد أبناء إدلب في البضائع التركية حلا لأزمة الغلاء فمعظم السلع الغذائية التركية يشترونها بنفس سعر مثيلاتها من السلع التي تنتج في سوريا، ويقول محمد سالم وهو صاحب محل لبيع البضائع التركية في ريف إدلب "الكثير من أبناء إدلب يدخلون إلى تركيا ويلاحظون أن هناك اختلاف كبيرا بسعر البضائع التركية في المدن التركية وبين سعرها داخل سوريا فيتهمونا بأننا نرفع الأسعار ونستغل حاجتهم ولكنهم لا يعلمون إن التجار الأتراك يأخذون منا مبالغ إضافية عندما نطلب منه فاتورة شحن لكي نستطيع أن نخرج البضائع عن طريق المعابر الحدودية لأن الدولة التركية تفرض عليهم ضرائب ربح كونهم يصدرون بضائعهم إلى خارج دولتهم، كما إن تكاليف الشحن الكبيرة تجعلنا نرفع من سعر البضائع وفي النهاية لا نحصل إلى على الربح القليل"، ويقول فريد شيخ الكار وهو سائق شاحنة "أن أرباح التجار تكمن في بيعهم السلع الغير أساسية كالألبسة والأحذية والبلاستيكيات وبعض أنواع الأدوية كون هذه السلع أسعارها مجهولة من قبل الناس، وأن معظم التجار القديمين في سوق البضائع التركية توقفوا عن شراء الموأد الغذائية كونها لا تحقق لهم ربحا كثيرا".

يشتري أغلب التجار بضائعهم من مدينة أنطاكيا القريبة من الحدود السورية ويدخلونها إلى الأراضي السورية عبر معبر باب الهواء الحدودي لتبدأ بعدها معاناة التجار في إيصال البضائع وتوزيعها إلى المدن والأرياف كون أي سيارة شحن مهددة بالاستهداف من قبل طائرات النظام التي لا تغيب عن سماء ريف إدلب ويقول التاجر محمد سالم "نضطر للمرور ببعض المناطق المشتعلة لكي نصل إلى مستودعاتنا وفي بعض الأحيان نضطر إلى المبيت بين الغابات حتى تغادر طائرات النظام فالطيارون يقصفون أي شاحنة قادمة من الحدود التركية خوفا منهم أن تكون هذه الشاحنة محملة بالأسلحة، وفي بعض الأحيان يوقفنا مسلحون تابعين لكتائب غير معروفة مهمتها السرقة والنهب فيخيروننا أما أن نعطيهم البضائع أو ندفع المال إليهم".

النظام يمنع البضائع التركية في مناطقه

بدأت تتلاشى البضائع التركية من أسواق المناطق الخاضعة لسيطرة الناظم في محافظة إدلب كون النظام منع إدخال هذه البضائع إلى المناطق التي يسيطر عليها وأصبح يلاحق التجار الذي يبيعون هذه البضائع وأن سحب البضائع التركية من سوق مدينة إدلب الخاضعة لسيطرة النظام لم يشكل فجوة كبيرة في السوق ولم يؤثر على حاجات الناس الأساسية كون أسواق المناطق الخاضعة لسيطرة النظام لا تعمد بشكل أساسي على البضائع التركية وان هذه الأسواق لا تعاني حاليا من نقص في الضائع ألا في بعض السلع الغذائية الغير أساسية بالنسبة للمواطن كالعصائر ومعدات الحلويات ومأكولات الأطفال.

مواد غذائية تركية فاسدة

وفي غياب أي جهة تموينية وصحية تراقب السلع الغذائية القادمة من تركيا حصلت حالات تسمم عديدة بسبب تلك المواد

يقول الدكتور محمد الذي يعمل في إحدى المشافي الحدودية في إدلب "زارتنا الكثير من الحالات التي أصيبت بتسمم غذائي نتيجة تناول أطعمة منتهية الصلاحية، فقمت بمجهود شخصي وأخذت من السوق عينات من بعض السلع التركية فوجت إن اغلب علب حليب الأطفال وبعض أنواع المعلبات منتهية الصلاحية، وقد وجهت رسالة لبعض الكتائب العاملة في المنطقة لملاحقة التجار الذي يبيعون هذا السلع الفاسدة وخاصة أطعمة الأطفال كون الطفل لا يحمل مناعة وأن هذه السلع الفاسدة من الممكن أن تودي بحياتهم".

سوق مدينة سرمدا في ريف إدلب 2013 | عدسة حلب نيوز

الخدمات في مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية

■ الرقة - ناصر المحمود

شكل تنظيم "الدولة الإسلامية" في المناطق التي سيطر عليها مجموعة من "المؤسسات" تختص بالأمور الخدمية حيث استحدث ما اسماه "هيئة خدمات المسلمين" وهي تعمل عمل البلدية من خدمات والحق تلك الهيئة المستحدثة بديوان خدمات المسلمين.

حيث تعمل الهيئة على توفير الماء والكهرباء وخدمات النظافة في المناطق التابعة لها وقد استفاد تنظيم الدولة من الموارد والقدرات المالية الموجود في سورية لتحقيق هذا الأمر، فسيطر على موارد الطاقة من آبار نفط ومحطات لتوليد الكهرباء، لدعم تلك الخدمات كما سيطر على محطات ضخ المياه والصوامع والمطاحن والسدود وغير ذلك من الموارد والخيرات الاستراتيجية.

ولم يجد تنظيم الدولة عناء بذلك لأن أغلبها كان محرراً أولاً، ولأنها بعيدة عن العاصمة دمشق ومقرات النظام العسكرية، فعدد جنود الأسد لا يقارن بمن يوجدون في دمشق ومحافظات أخرى.

لذلك تجد الكهرباء في المناطق الخاضعة لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية أفضل منها في بقية المدن والمناطق السورية، وكذلك الماء فقد سيطر التنظيم على سدي الفرات وتشرين ومحطات الضخ، فهو قادر على قطع المياه حتى عن المناطق التي يسيطر عليها نظام الأسد في حلب، فالمياه في مناطق تنظيم الدولة وافرة جداً إذا ما قورنت بالمناطق الأخرى، وقد بدأ التنظيم بعمليات جباية للكهرباء في كثير من مناطق سيطرته أغلبها بشكل غير مدروس إذ يفرض على المنزل ألف ليرة شهرياً وفي مناطق أخرى من مناطق سيطرته على الغرفة مئة ليرة، وأحياناً على حسب فواتير الكهرباء من الشركة كما حدث في أغلب ريف حلب الشرقي، ولكن الأهالي لم يتعاونوا معهم عندما حاول جمع فواتير الكهرباء عن طريق الشركة.

أبو زياد موظف في هيئة خدمات المسلمين يقول "نظمنا أمور الخدمات، وحاربنا التعديات والسرقات التي كانت تحصل على الأموال العامة بدءاً من آبار النفط التي كان يسرقها كثير من اللصوص وشيوخ العشائر وقمنا بتوزيعها على المواطنين بشكل عادل بعد أن كانت المحسوبية تلعب دوراً كبيراً".

أحد شوارع مدينة الرقة | مركز الرقة الإعلامي

لكن أبو محمد وهو موظف في سد تشرين يقول: "الفضل بالكهرباء لا يعود للتنظيم إنما للسوريين الذين بنوا السد بسواعدهم، وللفنيين والعمال الذين يديرون السد، وهم يقومون بعملهم خدمة للمواطنين، وكان ذلك قبل سيطرة التنظيم، ولا يوجد للتنظيم أي فضل ومنة على أحد وسيطرته عسكرية لا غير".

وتعتبر مشكلة الخبز المشكلة الكبرى في مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية فسعر الكيلو 55 ليرة في مناطق سيطرته، رغم سيطرة التنظيم على معظم صوامع الحبوب، ورغم أن المناطق الواقعة تحت سيطرته هي التي تنتج القمح السوري، فسعر الخبز يعادل أربعة أضعاف ما يباع في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام.

تقول أم غياث وهي ربة منزل: "ربما تكون الخدمة الوحيدة التي قدمها تنظيم الدولة ضبط الأمن في منطقتنا، ولكنه أمن قائم على الخوف، أما ما تبقى من خدمات فلم نشعر بفارق جوهري بين الخدمات التي كانت تقدم زمن الثوار والخدمات التي تقدم الآن".

أما المحروقات فهي متوفرة في مناطق سيطرة التنظيم، وليس لها تسعيرة محددة إنما تخضع لسعر السوق، لكنها محروقات سيئة لعدم وجود المصافي الحديثة، فكثير من عمليات التصفية والتكرير تتم بشكل بدائي، لكن بالمجمل تبقى أسعار المحروقات في مناطق النظام أرخص منها في مناطق سيطرة التنظيم، ويلاحظ أن المحروقات المهربة من مناطق النظام من ديزل وبنزين تباع في مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية بسعر مضاعف.

يقول "زياد" وهو بائع محروقات: "الآن نشتري المحروقات من تنظيم الدولة بعد أن كنا نشتريها من العشائر وفصائل الجيش الحر، ولم يتغير علينا أي شيء سوى البائع، والأسعار يتحكم بها التنظيم، حيث حدد السعر مؤخراً ب(7) ألف ليرة للبرميل ولكن هذا السعر غير ثابت".

أما نظافة المدينة فيشرف التنظيم عليها، فهو يراقب موظفي البلدية القدامى بعدما أضاف لهم موظفين جدد.

أبو نزار رئيس إحدى البلديات: "كل الأعمال الخدمية كانت تقوم بها البلديات ومازالت تقوم في العمل نفسه في ظل سيطرة التنظيم، ومن المفارقات أن الغالبية يتقاضون رواتبهم من النظام باستثناء بعض العمال والمشرفين الذين عينهم التنظيم".

غير أن خدمات كثيرة مطلوبة لا يستطيع تنظيم الدولة توفيرها للقاطنين في المناطق التي يفرض سيطرته عليها مثل جوازات السفر والتعليم الجامعي والطيران وغير ذلك من الخدمات التي تحتاج لاعتراف دولي ناهيك عن تأمين اتصالات لاسلكية (شبكات الهاتف النقال) فالتنظيم لا يستطيع تأمين هذه الخدمة.

أحمد طالب جامعي: "لم يضف تنظيم الدولة جديداً من النواحي الخدمية بل أغلق الجامعة التي كنت أدرس بها وحولها لمقر لقواته دون أن يؤمن لي بديلاً، ولا أعرف مصيري أنا ومئات الطلاب".

يحاول تنظيم الدولة الظهور في المناطق التي يسيطر عليها بمظهر الدولة التي تدير يوميات الناس من خلال إدارته لتلك المرافق واستفادته من البنية التحتية في تلك المناطق واستثمار كل ذلك لدعم رؤيته ومشروعه.

دورية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الاجتماعية

(أبو أحمد)، صانع الحلوى العنيد

■ سوريتنا - خضر سلمان

لا شيء في الداخل غير عادي، متجر صغير لبيع الحلويات، بداخله رجل دؤوب يتحرك في جنبات المكان، يخبز ويصنع أصنافاً من الحلوى المحلية ويبيعها للناس، لكن ما يجعل الحلوى والرجل المثابر والمتجر الذي ما زال يعمل، أمراً يسترعي الانتباه، هو ما يحدث في الخارج لا في الداخل، ففي الخارج الحرب وأشياؤها عديمة الرحمة.

يتفاوت الموقف الميداني من مدينة سورية إلى أخرى، لكن ما يوحّد غالبية المدن هو واقع الحرب وتبعاته، التهديد المتشكل على الحياة وعلى الوضع الاجتماعي وعلى المسكن والأمان والاكتفاء، وفي الوقت الذي يجهد فيه السوريون لاختلاق التفاصيل التي تشدهم إلى الحياة أكثر، كلما أبعدهم عنها شبح الموت المخيِّم في كل مكان، يجد البعض كـ (أبو أحمد)، لهم مكانا في هذه السيرورة الحية، يساعد في ذلك لربما، أن منطقة ريف اللاذقية بقيت عصية على قوات الأسد، ويتمكن الناس هناك من ارتجال الحلول العملية الخلاقة للأوضاع الصعبة، وفي مقدمتها التراجع الحاد في دورة الإنتاج الوطنية.

خسر (أبو أحمد) الكثير في مهنته، على ما يؤكد، لكنه يستمر في العمل ضمن ورشته الصغيرة في ريف اللاذقية المحرر، رغم تراكم الصعوبات وارتفاع تكاليف الإنتاج، وضعف حاجة عامة الناس إلى ترف ابتياع الحلويات، في ظل واقع شديد الوطأة يلقي بثقله على كاهل الأغلب الأعم من المواطنين السوريين، إذ دع عنك صنوف القصف العشوائي الذي يطال مناطق سكن المدنيين في القرى والأحياء السورية المنتفضة على نظام الأسد منذ 2011، الاقتصاد السوري برمّته، يترنح آخذاً معه بتلابيب الملايين من أبناء الطبقة الوسطى والطبقات الأخرى الأدنى منها، ممن وجدوا أنفسهم خلال سنوات ثلاث، وبعدما كانوا موسَرين ماديا أو مكتفين بصورة أو أخرى، وجدوا أنفسهم يتخبطون في العوز، ويتدبرون بصعوبة ماسة أبسط أسباب الحياة لأنفسهم وعوائلهم، بينما حوصر كثيرون بسبب المعارك دون خبز ولا مياه نظيفة، وهو الأمر الذي حدث في أكثر من مكان وتطلب إصدار نداءات إنسانية أممية لإدخال المساعدات الإنسانية إلى مخيم اليرموك جنوبي العاصمة دمشق، مثالاً، وإلى قرى وبلدات غوطة دمشق الشرقية ومدينة حلب.. لكن (أبو أحمد)، ما زال يجد الدافع للاستمرار رغم كل شيء.

"جرة الغاز بحد ذاتها تشكل أولى الصعوبات التي تواجهني، لكن توفير مادة الطحين هو الأصعب، والسكّر كذلك".

ويتابع الرجل حديثه وهو يرتب قطعا صغيرة من الحلوى الرقيقة في طبق كبير قبيل شيِّها في الفرن: "جرة الغاز ثمنها بات باهظا، 4 آلاف ليرة، هذا إذا وُجدت"، ويوضح معقِّباً: "مرات كثيرة أضطر إلى إحضار جرة الغاز التي في المنزل لتسيير أعمال المحل والمحافظة على وتيرة العمل الطبيعية".. يبتسم قليلا ويردف: "ببساطة أحتاج أن أعمل".

طرق العمل والمواد المستخدمة في صناعة الحلويات، اختلفت عما كانت عليه قبل الحرب، وفقا لما يخبرنا به (أبو أحمد)، الذي كان يستمر في العمل خلال الكلام معنا، مستعملا يديه وتعابير وجهه المبتسم، ومضطرا أحيانا إلى رفع صوته مع اضطرام نار الفرن.

اليوم يعتمد (أبو أحمد) على العمل اليدوي أكثر، التقنية الحديثة غير متاحة في معظم الأوقات، لأسباب منها "الافتقاد للتيار الكهربائي. هذا أثر على جودة الحلويات المصنوعة هنا بصراحة، نظراً لعدم توفر مواد كثيرة".

لكنْ يبدو أن اتفاقاً ضمنياً ما، قد أبرم بين (أبو أحمد) وزبائنه بخصوص هذه المسألة. يقول: "أنا أسهم في استمرار العمل وزبوني أيضا يسهم، نحن نحاول قدر المستطاع تأمين المقدور عليه من المواد الرئيسية، الطحين أو الفستق، أو السكّر أو القطر.. وكلها بالمناسبة أشياء من الصعب الحصول عليها في هذا الظرف. لكن الهدف المشترك هنا هو محاولة استرداد إيقاع الحياة الطبيعية"، مضيفا: "الحمد للّه! هناك برغم كل شيء إقبال لا بأس به على الحلويات".

خلال الزيارة، شرح لنا فتى من المنطقة اسمه خالد، وهو زبون لدى أبو أحمد، أنه وأقرانه في القرية يشعرون بالامتنان تجاه (أبو أحمد) لاستمراره في مهنته برغم الظرف القاسي. يقول خالد: "هذا الرجل يطهو الحلويات في هذه الأوضاع رغم ندرة كل شيء، نحن سعداء بهذا وكثيرا ما نكون مستعدين لدفع ما في جيوبنا مقابل الكيلو الواحد مهما ارتفع ثمنه"، ويتابع: "صحيح أن سعرها مرتفع بعض الشيء لكن ما باليد حيلة".

أبو أحمد وزبائنه، المكان الصغير الغامر، الزحمة اللطيفة التي يخلقها رجل واحد يعمل بجدية وكأن الحياة في الخارج هي هي.. ذلك كله، وما تثيره في النفس رحلة قصيرة حول بعض القرى المحررة في أطراف محافظة اللاذقية، ذات المناخ الجبلي الحرّيف، يولّد هذا الموقف بكل دقائقه، شعورا لدى من يراقب ويسأل هنا، بأن رغبة أكيدة في مواصلة الحياة والعمل والإنتاج والتفاعل الجمعي، هي ما يدفع بكل هؤلاء إلى فعل الكثير لجعل الحياة، رغم يوميات الحرب، "أحلى"..

ثلاثة من كل أربعة سوريين فقراء والتقارير تؤكد: الاقتصاد السوري يطحن نفسه

■ ياسر مرزوق

تقريرٌ مفزع تداولته وسائل التواصل الاجتماعي، عن ظاهرةٍ قيل أنها آخذةٌ في الانتشار في سوريا والشتات السوري أيضاً، هي ظاهرة بيع الكلى. وقد ذكر التقرير أن أعداداً متزايدة من الفقراء في سوريا "سلة غذاء الإمبراطورية الرومانية" تاريخياً ما يلجؤون، وبسبب حاجتهم الشديدة للمال، إلى بيع إحدى الكليتين لمريض ميسور الحال، وذكر التقرير أن هناك سوقاً آخذة في الاتساع تعقد فيها هذه الصفقات، وينشط فيها الوسطاء والسماسرة، وأن عدد العمليات التي أجريت من مطلع عام 2014 حتى يومنا هذا بلغ 300 عملية، تم فيها بيع الكلى بأسعار تتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف دولار، وقد نُشر أيضاً أن بعض الفقراء ممن يُقدمون على بيع الكلى هم من المرضى، أو ممن لهم كلية ضامرة مما يجعل فقدهم للكلية خطراً محققاً على حياتهم، ولكنهم يقبضون الثمن مقدماً مما يضطرهم إلى إتمام الصفقة.

كان من الصعب علي أن أقرأ هذا الكلام دون أن أتذكر أن الفقر هو المسؤول الأول عن ضعف الولاء للوطن الجامع، والانشغال بأمورنا اليومية عن قضايانا الوطنية وحتى القومية، فالخائف من الجوع أو من أن يفقد مكانه ومكانته أيضاً لا وقت لديه ليضيعه في الاهتمام بقضايا الحرية والنهضة والتنوير، فالانهيار الاقتصادي كما أنه يصيب معظم الناس بالخوف من الفقر والجوع، يصيب آخرين بالجشع ويسيل لعابهم من أجل تحصيل المزيد من الثراء، إذ يتيح فرصاً ذهبية للإثراء السريع عن طريق المضاربة واستغلال النفوذ.

للعام الرابع على التوالي نفتح ملف الاقتصاد في سوريا بعد الثورة، اقتصادٌ يغدق فقراً، وباستثناء المنتفعين وتجار الحرب تتجلى ديمقراطية الفقر على السوريين عامةً أيا كان اتجاههم أو ميلهم السياسي، بل تتعداهم لتطال العابرين للحدود في الدول المجاورة.

الواقع الاقتصادي قبل الثورة

عجزت الحكومات السورية المتعاقبة منذ استلام حزب البعث للسلطة، من السير ببرنامج تنموي شامل قادر على تلبية المتطلبات الأساسية للتنمية المستدامة. وقد عانت القطاعات الاقتصادية كافة من الأمراض الإدارية المزمنة، مثل انتشار الفساد، البطالة المقنعة، ضعف الإنتاجية. إضافة إلى زيادة في نسب البطالة والفقر وارتفاع معدلات التضخم، وانعدام العدالة في توزيع الثروة.

ومع نهايات عهد الأسد الأب، دخل نظام البعث في المرحلة الأخيرة من هرمه وشيخوخة آلياته، وجموده المؤسسي وتكلس دور نخبه البيروقراطية العليا والوسيطة، واستشرى الفساد بمستوييه الكبير والصغير، وتضعضعت قواعد عقده الاجتماعي والسياسي، وعلى المستوى الاقتصادي البحت ورث الأسد الابن وضعاً يتسم بالركود الاقتصادي، بما يعني العجز عن توفير فرص عمل للأجيال الشابة، ونمو القطاع غير المنظم، كما ضاعت المكتسبات التي حققها الاقتصاد السوري في بداية التسعينيات، ففي حين سجل الاقتصاد نمواً بقدر 7, 33 عام 1996 بحسب تقرير الأمم المتحدة الإنمائي، انخفض بشكل تدريجي ليصل إلى متوسط 2, 15 بالمئة، ثم إلى معدل صفري أو سالب عام 2000، ومع غياب أي إصلاح سياسي تزامنا مع خطة اقتصادية واقعية، ومع تبني نظام الحكم لاقتصاد السوق الاجتماعي، تحول الاقتصاد السوري إلى اقتصاد يعمل بآليات السوق (العرض والطلب) من دون الاهتمام بتوفير شبكات الضمان الاجتماعي المرافقة لهذا التحول، الأمر الذي أفضى إلى تراجع في دور الدولة في الحياة الاقتصادية اليومية، مقابل زيادة في دور القطاع الخاص. كما أدى دخول الدولة في اتفاقيات التجارة الحرة مع الدول العربية وتركيا، إلى تراجع دور القطاع الصناعي المحلي، غير المؤهل للمنافسة، وتكبده خسائر كبيرة، مقابل دخول السلع العربية والتركية.

وهكذا مرت السنوات الخمس الأولى من حكم الأسد الابن بمعدل نمو اقتصادي منخفض، تمّ تسويغه بأنّه "انتقالي"، من اقتصاد الركود إلى الاقتصاد التأشيري، ومرت خمس سنوات أخرى 2005 - 2010 بمعدل نمو عال نسبياً، ولكن لم يشعر المواطن بانعكاسات إيجابية تتوافق معه، خصوصاً لجهة أنّ أرقام الفقراء ونسب الفقر بقيت على حالها وشبه متطابقة قبل 2005 ونهاية 2010، وفق الأرقام الحكومية الرسمية.

• ومردّ ذلك، هو إلى أن النظام اعتمد الإصلاح المؤسسي السطحي، ومسخه إلى مشروع تحرير اقتصادي، اقترن فيه التحرير التجاري بهدر التصنيع، إذ ترافقت عملية اختزال "الإصلاح" إلى "تحرير"، مع تجميد جميع أفكار ومقترحات ومشاريع إصلاح القطاع العام الصناعي، الذي أُلفت لأجله عدة لجان بين عامي 2000 و 2005 على نحو شبه تام، لدفعه إلى ملاقاة مصيره المحتوم، وهو الموت السريري، بديلاً من عدم القدرة لأسباب اجتماعية وسياسية، على خصخصته مباشرة وإعادة هيكلته، وفق أشكال الخصخصة الأخرى، التي اقترحها البنك الدولي، وعدم الثقة بإصلاحه في الوقت نفسه على اعتباره قطاعاً خاسراً، وبهذا اقترنت عملية الإصلاح الاقتصادي المزعوم بهدر التصنيع، لمصلحة تضخيم النشاط الأسرع ربحية وعائدية، في قطاع الخدمات الإنتاجية، التي قطفت الطبقات القوية ثمارها الكبرى، وهذا ما يفسر ما ذكرناه سابقاً، عن بقاء معدلات الفقر على حالها بالرغم من معدلات النمو المرتفعة.

ويمكن أن نلخص الرؤية الاقتصادية المحدودة للنظام، بما ذكره أحد المئة الكبار (هيثم جود)، في حديث له مع موقع مجلة الاقتصادي الإلكتروني، العدد 154: "التجارة أولاً، ثم السياحة وهي نفط سوريا، وأخيراً الصناعة"، ويمكن بسهولة أن نتعامل مع الواقع الاقتصادي السوري في عهد الأسد الابن، كعنوان للفساد، ولإعطاء فكرة عن ريعية الفساد "الأسود" ودورها في تكوين شرائح من رجال الأعمال الطفيليين، نذكر أنه قدرت ريعية الفساد نتيجة العمولات التي تدفعها الشركات الأوروبية في بعض بلدان العالم الثالث، بما يراوح بين 20 إلى 50 في المئة من تكاليف المباني والمعدات وفق التكلفة الأصلية.

هذه الفئة الطفيلية سيطرت على أراضي الدولة، بوضع اليد عليها عبر الاستئجار المجحف، وتدوير قسم من الأموال الأجنبية، التي تأتي على هيئة معونات عينية ونقدية إلى الجيوب الخاصة، والتحكم في خدمات المرافئ، وتنظيم عملية التهريب، لا سيما من لبنان والعراق.

وتأكيداً على فشل السياسة الاقتصادية للنظام احتلت سورية وفق تقرير منظمة Heritage Foundation السنوي، أن سوريا تحتل المرتبة 139 في العالم لجهة الحرية الاقتصادية، مع تسجيل نتيجة 51. 2 نقطة للعام 2011، وقد أشار التقرير إلى تراجع حاد بمختلف القطاعات السورية خلال فترة الأزمة، مشدداً على مدى تأثير الأنظمة القانونية على تطور القطاع الخاص والنتائج السلبية المترتبة على بيئة الأعمال، ويعود هذا الانخفاض في مقياس الحرية الاقتصادية، إلى تصرفات الدولة وتدخلاتها وهيمنتها لفترة طويلة على شتى مجالات الحياة الاقتصادية، بالإضافة إلى البيئة القمعية وتهميش القطاع الخاص، ومنع التنمية المستدامة للمؤسسات الجديدة.

والحالة السورية "قبل السورية" تذكرني بجملة طريفة، لكن حقيقية، قالها منذ أربعين عاماً تقريباً رئيس جمهورية البرازيل، عندما سئل عن الحالة الاقتصادية في بلاده، وكان الاقتصاديون المناصرون لسياسة الحرية الاقتصادية وقتها يتغنون بما أسموه "المعجزة البرازيلية"، قال هذا الرئيس الحكيم: "إن البرازيل تسير سيراً حسناً للغاية"، والجملة تلخص بحكمة ما ذكرناه سابقاً، فقد تتحسن بشدة أرقام ميزان المدفوعات، وتنخفض نسبة العجز في الموازنة، ويتراكم فائض العملات الأجنبية لدى الدولة، بل وقد يرتفع معدل نمو الناتج القومي ارتفاعاً كبيراً، دون أن يشعر غالبية الناس بأي تحسن في أوضاعهم الاقتصادية، بل قد يحدث أثناء ذلك أن يزداد الفقراء فقراً، وبدرجة لا يستهان بها.

الواقع الاقتصادي بعد الثورة

قبل الخوض في التقارير الكارثية التي يمطرنا بها الإعلام عن الواقع السوري لا بد من الإشارة إلى متلازمة الفساد، صنو النظام الحاكم في سوريا، والذي لم يكتف بالمبالغة في الحل الأمني والعسكري الذي أسقط البلاد على رؤوس قاطنيها، بل تمادى في فساده، ولم يكتفِ بغضّ الطرْف عن تلاعب بعض التجار المرتبطين به بنيوياً أو مصلحياً، بقوت السوريين وأبنائهم، بل شاركهم كدأبه في النهب المنظم.

الفساد، الذي عرّفه صندوق النقد الدولي بوصفه استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص (الشخصي) غير المشروع، كما حددته منظمة الشفافية الدولية بأنه "كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية لنفسه أو جماعته"، يتجلى بأبشع صوره في سوريا اليوم، فبينما تعاني غوطة دمشق وأغلب المناطق السورية من العطش الذي طال مركز المدينة، يتم افتتاح مدينة للألعاب المائية في مشروع دمر في دمشق بشراكة بين تاجر دمشقي وأقارب للنظام، وتتم تغذية المسابح والملاهي بماء الشرب الشحيح في دمشق وضواحيها، ويرتفع التقنين الكهربائي في مشروع دمر إلى حدود كارثية، وتحدثنا صفحة المدينة المائية على شبكة الفيسبوك بأنْ "صبراً سكان دمشق فبعد انتصار الجيش العربي السوري على الإرهاب سيتم توفير الكهرباء بالمجّان للجميع"!.

وبعد تسوية المليحة بالأرض تم تضمينها لتاجر من شركاء النظام لسحب كل ما تبقى فيها من نحاس وحديد ومعادن أخرى لصهرها وبيعها في السوق السوداء، وكلف الدفاع الوطني في المنطقة بالإشراف على تنظيم عملية السرقة.

أما حقل الشاعر للغاز في ريف حمص فبات معلوماً للقاصي والداني أن حمايته كانت من اختصاص شركة أمنية يملكها رامي مخلوف بعقد سنوي قدره 180 مليون ليرة سورية، وزعها الأخير على أسماء وهمية لم تطأ الحقل الذي سقط بيد داعش لفترة من الزمن، وقتل فيه العشرات من جنود الجيش.

ومع تحالف الفساد والقمع للعام الرابع على التوالي غدت سورية بلداً من الفقراء، إذ أصبح ثلاثة أشخاص من كل أربعة، فقراء مع نهاية عام 2013، وأصبح أكثر من نصف السكان 54. 3% يعيشون في حالة الفقر الشديد حيث لا يستطيعون تأمين الحد الأدنى من احتياجاتهم الأساسية الغذائية وغير الغذائية.

ولعل ما ذكرناه سابقاً يشير إلى أن الخسائر التي أصابت الاقتصاد السوري أكثر بكثير من الأرقام التي نشرها تقرير المركز السوري لبحوث السياسات، بالتعاون مع برنامج التنمية في الأمم المتحدة ومنظمة الأونروا، الصادر في شهر أيار 2014 والذي يشير إلى أن الخسائر الاقتصادية الإجمالية نتيجة الأزمة لغاية 2013 بلغت نحو 143.

8 مليار دولار أميركي، وتعادل الخسارة بالأسعار الثابتة ٪276 من الناتج المحلي الإجمالي لعام 2010.. وتتكون هذه الخسائر بحسب التقرير من:

- خسائر الناتج المحلي الاجمالي الناتج عن التدهور الاقتصادي بمقدار 70. 8 مليار دولار
- تضرر مخزون رأس المال، أي ما لحق بالمساكن والمباني العامة والمصانع والبنية التحتية من دمار بمقدار 64. 81 مليار دولار أميركي.
- زيادة الانفاق العسكري بمقدار 8 مليار دولار.
- المجموع 143 مليار دولار.

تداعيات الأزمة على اقتصاديات الجوار

لبنان

في نهاية الخمسينات من القرن الماضي وتحديداً زمن الوحدة وقوانين التأميم الجائرة نزحت برجوازية دمشق وحلب إلى بيروت مع إمكانياتها المادية والفكرية وساهمت في نهضة لبنان مالياً واقتصادياً، وبقيت العلاقة العضوية بين اقتصادي البلدين مستمرة حتى يومنا هذا بالرغم من خلاف السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتبعة في كليهما.

اليوم ومع استمرار الجرح السوري النازف، وتفاقم اللجوء السوري إلى لبنان، برزت حملة عنصرية مسعورة في وجه اللاجئين والنازحين السوريين تحت عنوان عريض، مفاده أن الوجود السوري فاقم الأزمة الاقتصادية في لبنان، ومما لا شك فيه أن الأزمة السورية المتفاقمة أثرت في الوضع الاقتصادي والسياسي الهش هناك.

لكن من الناحية الاقتصادية يحمل الإعلام اللبناني مسؤولية بنية النظام الاقتصادي الريعي والفشل السياسي والمديونية المرتفعة للتواجد السوري، في حين أن التحويلات والايداعات السورية في البنوك اللبنانية والتي ناهزت المئة مليار دولار منذ عام 2011 بحسب صحيفة المستقبل اللبنانية، هي التي ساهمت في ثبات سعر صرف الليرة اللبنانية، وعوضت مداخيل السياحة المتوقفة تقريباً، منذ انقلاب حزب الله على حكومة الرئيس سعد الحريري، لاسيما بعد أن حذرت دول الخليج مواطنيها من السفر إلى لبنان.

كما ساهمت العمالة السورية المقيمة والرخيصة في استزراع العديد من الأراضي بجنوب لبنان، وقد قام بعض السوريين بضمان الأرض بالمشاركة مع المالكين اللبنانيين، أما في قطاع البناء فقد نشرت "اللوموند الفرنسية" بتاريخ 27 أيار عام 2014 مقالاً بعنوان "الهجرة تساعد التشغيل"، يشير فيها الباحث "تيبولت جاجدو" إلى أن: "المهاجرين يحسّنون فرص عمل كثير من السكان المحليين عبر خلق الوظائف واحتلال الوظائف الدنيا مما يوفر الترقي الوظيفي للمحليين. وبشكل أكثر تحديداً، تشير الدراسة التي أجراها باحثون أوربيون إلى تأثير الهجرة في العمل والبطالة. إن زيادة بمقدار ٪10 من العمال المهاجرين تزيد فرصة الترقي لحوالي ٪20 من المحليين خلال 4 سنوات".

أما القطاع السكني فتشير التقارير العمرانية إلى وجود نسبة ما يقارب 20 بالمئة من الشواغر العقارية على امتداد الأراضي اللبنانية، ويرجع ذلك إلى النسبة العالية من المهاجرين اللبنانيين، بينما أدى النزوح السوري إلى انتعاش حقيقي في سوق الإيجار.

كما استفاد الاقتصاد اللبناني من الإعانات والهبات الدولية للاجئين السوريين، والتي توجه أساساً للغذاء والسكن، أي إنها موجهة لجيوب اللبنانيين وليس جيوب السوريين.

كما استفاد الاقتصاد اللبناني من الحصار الاقتصادي المفروض على سوريا، فتضاعفت الصادرات عبره إلى الداخل السوري أكثر من مرة، بحسب إحصائيات الجمارك اللبنانية، كذلك لا ننسى حجم استفادة الاقتصاد غير المنظم -اقتصاد الظل- من الأزمة في سوريا في المناطق الحدودية خاصة.

العراق

وفر اللجوء السوري إلى إقليم كردستان خاصةً عمالة رخيصة واستثمارات جذبها الاقتصاد الناشئ؛ أما خارج الإقليم فلم يكن اللجوء إلى العراق مغرياً بسبب الواقع الأمني والاقتصادي المضطرب للداخل العراقي، وقد اتخذ اللجوء طابعاً قبلياً عشائرياً بحكم طبيعة المواطنين على طرفي الحدود أكثر منه اقتصادياً.

أما بالنسبة للاقتصاد العراقي، فقد أصدر صندوق النقد الدولي مؤخراً تقريره عن مستجدات آفاق الاقتصاد الإقليمي عن الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، تحت عنوان "الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وباكستان وأفغانستان: هل توشك على اجتياز المنعطف الحرج؟".

وقد بيّن التقرير وجود زيادة في الإنفاق الحكومي على الجوانب الأمنية والاجتماعية، كما تأثر النمو غير النفطي الذي يتوقع أن ينخفض إلى ٪4 في عام 2014 من متوسط ٪8 في الفترة 2009 - 2013، حيث ذكر صراحةً أنه: "أدت الحرب إلى تخفيض واردات العراق سواء من سوريا أو عن طريقها، حتى شارفت على التوقف، بعد أن كانت تبلغ 15 - ٪20 من مجموع الواردات، كذلك تأثرت الإمدادات الغذائية بهذه التطورات، ما يساهم في زيادة تضخم أسعار المواد الغذائية مؤخراً".

كما انعكست الأزمة في سوريا على مستقبل العراق الاقتصادي، حيث توقف مشروع مد خط أنابيب عملاق يربط العراق بالبحر الأبيض المتوسط عبر سوريا، وبالبحر الأحمر عبر الأردن، كما تؤثر الأزمة في المدى البعيد، على عملية تصدير النفط العراقي، الذي لا يملك سوى منفذي الخليج وجهان التركي مع البحر المتوسط.

كما توقف مشروع تطوير الغاز في حقل عكاز وفي الحقول الأخرى، وإنشاء أنبوب غاز عملاق لتصدير الغاز وربطه بالغاز العربي، كما توقفت التجارة البينية تقريباً بين العراق وسوريا، والتي كان حجمها يصل إلى ثلاثة مليارات دولار، وأصبح العراق أكثر اعتماداً على الدول الأخرى، مثل تركيا وإيران والأردن.

الأردن

نجح الأردن تاريخياً في الصمود في وجه زلازل المنطقة منذ إنشاء المملكة مروراً بالحروب الفلسطينية وحربي الخليج الأولى والثانية، وبالرغم من أن تقرير صندوق النقد الدولي أكد أن الأزمة السورية ألقت بتداعياتها على اقتصاد العديد من دول الجوار، لاسيما الأردن ولبنان، الذين تأثرا بانكماش الاقتصاد السوري بشكل حاد، إلا أنها لم تظهر بشكل جلي في الواقع الأردني بسبب قوة الحكومة المركزية، وتوافق الأردنيين تقريباً على موقفٍ من الوضع في سوريا.

وقد أشار التقرير المذكور إلى انقطاع تجارة الترانزيت عبر الأردن، إلا أن تنوع القنوات التجارية الأردنية قد ساعد على الحد من هذا التأثير حتى الآن. كما أدت الأزمة في سوريا إلى انخفاض تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الأردن من ٪8 من إجمالي الناتج المحلي في المتوسط خلال 2009 - 2010 إلى 4. 5 ٪ في عام 2012، وانخفضت الصادرات إلى ٪10، مما كانت عليه قبل اندلاع الصراع في آذار 2011.

كما أدت زيادة الطلب من اللاجئين على السكن، والذي يقيم أربعون بالمئة منهم فقط في المخيمات، إلى ارتفاع التكلفة الإيجارية وأسعار المساكن بالأردن، وإلى فرض ضغوط على سوق العمل المحلية، في ظل المنافسة على فرص العمل بين اللاجئين والمواطنين، مما أدى إلى تفاقم معدل البطالة والذي بلغ 12. 2 ٪ في عام 2013.

كما تفرض تدفقات اللاجئين الداخلين إلى الأردن ضغوطاً إضافية على المالية العامة، تمثل ٪1 من إجمالي الناتج المحلي في 2013 بالنسبة للقطاع العام. هذا وتستقبل المدارس الأردنية حوالى 32 ألف طالب سوري، وهناك 12 ألف طالب بانتظار التسجيل، ويستفيد حوالى 4 آلاف طالب من برنامج للتغذية المدرسية.

وعد أوباما ووعيده

■ خالد كنفاني

اعتاد أوباما أن يمارس هواية العصا والجزرة مع من يخرج على خطوطه الحمراء التي تقف على رمال متحركة بلا قيود، واعتاد من يعوّلون على وعوده أن يجروا خلف الجزرة لاهثين كما يلهث وزير الخارجية السعودي في مؤتمراته الصحفية محاولاً لمّ ما تبقى من أشلائه الهلامية وخصوصاً في حضرة أسياده الأمريكان.

منذ بدايات الثورة السورية وأوباما يعلن أنه "لا مكان للأسد في حكم سوريا"، وأن "أيام الأسد معدودة" إلى أن صرنا نشك في معاني العدّ وحدوده، فالأيام تحولت إلى شهور والشهور إلى سنوات ولا زال العدّ مستمراً ولا زال أوباما يعطي مزيداً من الوعود.

مضت الشهور والسنوات وقُتل عشرات آلاف السوريين بينما أوباما يرفع سقف خطوطه الحمراء إلى أن وقعت مجزرة الكيميائي في ريف دمشق وغيره، وإذا بالرئيس الأمريكي يطلّ علينا من جديد مصحوباً بتصريحات من قادة أركانه وأعضاء من مجلس الشيوخ ومجلس النواب بحتمية القضاء على نظام الأسد، بل وبدأ الإعلان عن تحضيرات في البحر المتوسط وعاد اللاهثون يركضون خلف الجزرة وعلى رأسهم "أبطال الثورة" أعضاء الائتلاف الوطني الذين لا يكفون عن "النضال" في فنادق اسطنبول وأوروبا والرياض حيث لا يزالون يصيحون كالقرود وينعقون كالبوم على الشاشات وهو ما لا يكفون عن فعله منذ أربع سنين وهو كذلك ما لا يستطيعون فعل غيره ولا يعلمون.

ترقب العالم أجمع والسوريون بشكل خاص الخطوة الأمريكية القادمة، وارتفع سعر الدولار مقابل الليرة السورية بشكل جنوني آخر واستنفر النظام والشعب وكل "أصدقاء سوريا" وأعدائها على حد سواء، واعتقد الجميع أن لحظة النهاية قد حانت وأن الأيام المعدودة وصلت نهايتها. وخرج أوباما على الجميع وهو يؤكد أن "الوقت قد حان" لإنهاء الأسد لأن السيل بلغ الزبى. وماذا بعد؟ لا شيء. كما العادة.

تبخر كل شيء فجأة وعادت الحياة إلى طبيعتها في البيت الأبيض وباقي العالم، وتلوّنت الخطوط الحمراء بألوان أخرى ولم يبق من الأحمر سوى دماء الأطفال السوريين الذين قضوا بالغاز السام وارتقت أرواحهم إلى ملكوت السماوات ساخرين من عدالة الأرض التي غابت منذ زمن بعيد. وعاد النظام السوري إلى قتل الناس بالبراميل وغيرها واستمر مسلسل الموت الذي لا يعرف حلقة أخيرة حتى اليوم.

ودخلت داعش على خط الأحداث.

وصلت جحافل الموت المحمّلة بالرايات السود قادمة من اللامكان، وصل الرعب الجارف والمدعوم كلياً من السعودية والعراق وسوريا، وتم إخلاء المدن والمواقع العسكرية أمامه من قبل الجيش العراقي "الباسل" ومن قبل عشائر شرق سوريا التي حاربت النظام لأكثر من عامين رغم سقوط آلاف القتلى والجرحى إلا أنها بايعت داعش لمجرد مقتل 700 من رجالها في مفارقة تاريخية لا تخلو من سخرية.

وهكذا ظهرت فجأة دولة "الخلافة الإسلامية" وامتدت حدودها من الطبقة في سوريا غرباً إلى كركوك شرقاً، وبدأت الدولة الجديدة بفرض قوانينها ونظم تعليمها ورؤيتها للحياة ورؤيتها للموت أيضاً، وبدأت عمليات التهجير القسري والأسلمة وتحصيل الجزية وقمع النساء وإذلال الرجال.

تم اختراع الكذبة بنجاح وتم تصديقها بنجاح أكبر، وتداعت الأمم الكبرى والصغرى لاجتماعات وبيانات ومؤتمرات تريد الوقوف في وجه هذا السرطان المتفشي وكأن ذات الأمم لا تدري مصادر تمويل هذه الجماعات ولا مصادر خلفياتها الثقافية والفكرية. لا يوجد في أفكار داعش ومعتقداتها ما يخالف المذكور في معظم في الكتب والتراث الذي تقوم السعودية بتدريسه في مدارسها وتحاول نشره في كل مراكزها الثقافية من تكفير للمخالفين وفرض طاعة أولي الأمر وفتاوى الردة وقطع اليد، ولهذا لا تخلو التصريحات المتأرجحة لسعود الفيصل من نفاق عندما يصف فكر داعش بأنه فكر ضال. لا يستطيع الأمير الفيصل أن يخفي سعادته وهو يتلقى الإطراء من جون كيري بعد الجفاء السطحي الذي حصل بين البلدين بسبب الاتفاق النووي الإيراني، وهكذا تعتقد المملكة أن الولايات المتحدة عادت صاغرة لنيل رضا السعودية التي نجحت عبر خطتها في دعم داعش في إعادة بعض التوازن للمنطقة في مواجهة العدو الفارسي الذي سجل عدداً من النقاط في الفترة الماضية.

وماذا عن سوريا؟

من يفكر في إنقاذ سوريا اليوم؟

كل هذا التحالف العالمي اليوم يقوم لحرب عصابة موتورة وثلة من المجرمين الهاربين والمتعصبين الحاقدين بينما يتم ترك أنظمة بأسرها تقتل وتذبح وكل ما في الأمر عقوبات اقتصادية ودعم سخيف لمجموعات مسلحة مبعثرة ومتنافرة تتبع أجندات متباينة بدعوى دعم المعارضة والوقوف إلى جانب الشعب السوري. تركوا سوريا تغرق في حرب أهلية وتحت سيطرة عصابات ومجرمين وقطاع طرق ثم يأتي الجميع للقضاء على داعش وحسب.

لن نخوض كثيراً اليوم في تفاصيل وشكل التحالف الدولي القادم والذي تم تأسيسه بالأمس بين تسع دول عربية بقيادة الفزاعة السعودية وبين تركيا وبقيادة الولايات المتحدة التي تتقن في عهد أوباما فن إبقاء المشاكل بعيدة عن أرضها وعن دائرة الخطر. وطالما هناك أغبياء يصدقون ما تقوله الولايات المتحدة ويدفعون المليارات سمعاً وطاعة فليس من داع لأن تخاطر الولايات المتحدة بروح جندي أمريكي واحد، بل يقوم اللاعبون الصغار بالمطلوب ليبقى الصراع والدم في دائرة واحدة تحوم من بلد إلى آخر.

ما يهمنا اليوم ليس تفاصيل التحالفات الدولية وخاصة بعد الفشل الذريع لمؤتمرات "أصدقاء سوريا" وخروجها من التاريخ، ولكن ما يهمنا هو ماذا بعد هذه التحالفات؟ وكيف ستكون صورة المنطقة بعد قيام أي فعل سواء كان عسكرياً أم مدنياً أم إنسانياً؟

تدور كل النقاشات والتحليلات السياسية والاستراتيجية حول القضاء على داعش ومحاربتها، ولكن مرحلة ما بعد القضاء على داعش (إن تمت) لا تزال مجهولة وغير واضحة، ولا يزال لدينا خوف من تكرار السيناريو الأفغاني عندما تدخل التحالف الدولي هناك للقضاء على طالبان ومن ثم غرق الجميع في مستنقع الإرهاب والتمزيق الطائفي وهو ما لم تخرج منه أفغانستان حتى اليوم.

لا ندري في أي اتجاه تسير سوريا وخصوصاً وقد أعلن أوباما أن الحرب على داعش قد تستمر لأكثر من ثلاثة أعوام وضرب في ذلك أسوء مثالين هما الصومال واليمن حيث لا تزال الطائرات بلا طيار تقوم بهجمات في كلا البلدين للقضاء على التنظيمات المتشددة وذلك منذ ما يزيد عن خمسة أعوام دون الوصول إلى نتائج تذكر سوى تأجيج المزيد من الصراعات وإزهاق آلاف الأرواح.

لا يبدو أن أحداً يهتم بمصير سوريا ما بعد داعش مثلما يبدو النفاق العالمي على أوجه وخاصة فيما يتعلق بالتعاون مع النظام السوري في حرب داعش، ومن المستبعد أن تتم أية عملية في سوريا دون تنسيق مع المخابرات السورية والقوات الجوية السورية. ولا يزال السيناريو المصري في عودة النظام العسكري للحكم ماثلاً أمامنا ولا نخشى سوى عودة الديكتاتورية السورية بصورة مختلفة بحجة إرساء الأمن والقضاء على الإرهاب.

وما بين وعد أوباما ووعيده لا تزال أرواح السوريين تضيع ببراميل النظام وسيوف داعش وطائرات التحالف، وسيزداد ظلام النفق كلما أوغلنا في العنف وكلما دخلت أطراف جديدة على الخط.

وما بين وعد أوباما ووعيده نتساءل: أين وعد الله ووعيده؟

آخر الكلام: يقول أحمد محرم:

ولما يأت وعد السالفينا
فتلك قيامة الأحياء قامت
بأرض الترك أيدي المضرمينا
وتلك النار تلقى الناس فيها
فهل بردت قلوب الحاقدينا
رأوا أن يطفئوا نارا بنار
أقاموا بالعراء معذبينا
أبادت قومنا إلا بقايا

الرؤى الأمريكية للتعامل مع "داعش"

■ مهند النادر

أدى التمدد الذي حققه "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" - داعش - في كل من سوريا والعراق والوصول إلى الحدود الأردنية والسعودية، وإعلان قيام دولة الخلافة الإسلامية، إلى دفع الإدارة الأمريكية إلى العمل الجاد على محاصرة وإنهاء وجود تنظيم "الدولة الإسلامية"، لما تشكله طموحاته من تهديد لمصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة على منابع النفط وتجارته، والتخوف من تمكن التنظيم من التغلغل داخل المجتمع الذي يسيطر عليه وتجذر وجوده مما يجعل من الصعب جداً إنهاء وجوده لاحقاً.

مفهوم إدارة أوباما للتدخل في المنطقة محكوم بعدة اعتبارات (خاصة بعد تجربة التدخل العسكري المباشر في العراق عام 2003)، أهمها عدم التدخل المباشر في الصراع الجاري، وإنما العمل على القيام بالحرب عبر الحلفاء المحليين من خلال تقديم الدعم العسكري والعمليات الجوية التي تستهدف مواقع وأهداف محددة لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وضرورة خفض كلفة أي تدخل بما لا يرهق دافع الضرائب الأمريكي، والقناعة الراسخة لدى الإدارة الأمريكية باستحالة إنهاء وجود تنظيم "الدولة الإسلامية" خلال فترة قصيرة، وأن هذا العمل سيستمر إلى ما بعد ولاية الرئيس أوباما.

تعمل الولايات المتحدة مع دول المنطقة لتحقيق التوازن بين هذه الدول ومتطلباتها بما يخدم التوجه الأمريكي في التعامل مع تنظيم "الدولة الإسلامية"، هذا التوجه الذي يسعى إلى إضعاف سلطة "الدولة الإسلامية" والعمل على شل حركة تنظيمها، ومنع أعضاءه من العودة إلى بلادهم وحصرهم في مناطق القتال ليلاقوا حتفهم هناك. كما يهدف العمل الأمريكي إلى استعادة السيطرة على العراق لأهميته النفطية وموقعه الاستراتيجي والإبقاء على الورقة الكردية التي تشكل عامل ضغط على جميع الأطراف في المنطقة. وتعمل الإدارة الأمريكية على تحقيق التوافق بين المصالح التركية والأمريكية وعدم تعارض السلوك التركي معها. كما تستخدم عقدة تنظيم "الدولة الإسلامية - داعش" في المفاوضات مع ايران حول ملفها النووي. وتعمل الإدارة الأمريكية بشكل مباشر على بلورة الخيارات السياسية المحلية بما يساعد على خلق مناخ سياسي ينتج شكل من العمل تتشارك فيه جميع القوى الوطنية في محاربة تنظيم الدولة كما حدث في العراق بعد سقوط المالكي وإنجاز حكومة جديدة تحقق المشاركة للجميع.

وتحث الولايات المتحدة خطواتها باتجاه تشكيل تحالف دولي يضم دول حلف الناتو وبعض الدول العربية من أجل المشاركة وتسهيل العمليات العسكرية، والعمل على تجفيف منابع التمويل وتقييد حركة التحويل المالي، والسعي للحد من التحاق المتطرفين بالتنظيم ومنع عودتهم إلى بلادهم، والتعاون والتنسيق المشترك في تبادل المعلومات الأمنية المتعلقة بتنظيم "الدولة الإسلامية" من كافة النواحي العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

خلال هذه المواجهة مع "الدولة الإسلامية" تدرك الولايات المتحدة أن القضاء عليها لا يكفي بقتالها في العراق من خلال الجيش العراقي وقوات البشمركة الكردية والضربات الجوية الأمريكية، وإنما يتطلب ملاحقتها في معاقلها داخل الأراضي السورية وقتالها هناك وإنهاء وجودها. هذه الضرورة تضع الإدارة الأمريكية أمام عدة خيارات للعمل ضمن سوريا منها التحالف مع الأسد ونظامه بشكل مباشر للاستفادة من قدراته العسكرية والأمنية التي تكمل دور القوات العراقية وقوات البشمركة ولتسهيل عمل القوات الجوية الأمريكية، ويرى البعض أن هذا الخيار يضرب مصداقية السياسة الأمريكية المناوئة للأسد ويدعو إلى توظيف النظام السوري في هذه الحرب دون ارتباط مباشر من خلال تقاطع المصالح في العداء لتنظيم "الدولة الإسلامية"، في حين يرجح البعض خيار دعم وتدريب مجموعات المعارضة المعتدلة والعمل على دفعها باتجاه توحيد صفوفها كي تواجه قوات "الدولة الإسلامية" ويبدو أن هذا الخيار بدأ تطبيقه بالفعل عبر بعض المجموعات التي اجتمعت بقيادة "جمال معروف" وبدأت بالتوجه إلى مدينة الرقة، وهناك من يرى ضرورة توظيف طرفي الصراع في سوريا لمحاربة "داعش" من خلال العمل على تهيئة ظروف التفاوض بين الطرفين كون محاربة تنظيم الدولة الإسلامية يتطلب إنهاء حالة الصراع والعنف المتبادل الذي يعمل على خلق البيئة المناسبة لإنتاج التطرف، وهذا يتطلب إقناع الطرفين بضرورة التفاوض لإعادة بناء سوريا ضمن اتفاق دولي وإشراف الأمم المتحدة.

يقر أعضاء بارزون في الإدارة الأمريكية على أن العمل على تطويق وتجفيف موارد التطرف المالية والبشرية يتطلب تضافر الجهود السياسية لتكريس حل سياسي عادل يحقق أهداف البنى الاجتماعية في المشاركة والتي ستفرز بنية رافضة لأي حراك متطرف يهدد الاستقرار في المجتمع، حيث فشلت على سبيل المثال في العراق كل الخيارات العسكرية نتيجة غياب الحل السياسي الذي يتيح فرص المشاركة للجميع في العملية السياسية وفي عمليات بناء الدولة، فكانت سياسات المالكي التي تجاهلت مكونات الشعب العراقي ودورها في بناء العراق كدولة ومؤسسات، سبب حقيقي في زيادة حالة التشظي وخلق مظلومية لدى العديد من مكونات الشعب العراقي مما أنتج دولة فاشلة سرعان ما هُزمت أمام مجموعات من مسلحي تنظيم "الدولة الإسلامية" وسيطروا على أسلحة الجيش العراقي ومناطق واسعة من البلاد. وهذا ما يدفع بالبعض إلى تبني خيار تعزيز العمل السياسي في سوريا عبر الإطاحة برأس النظام ليكون مقدمة لخلق حالة سياسية بدل الاقتتال كما حدث في العراق، وبالتالي قيام سلطة تشاركية تحافظ على ما تبقى من الدولة وتعمل على تحقيق العدالة، مما يوفر مناخ لجذب كافة مكونات المجتمع وخاصة التي عانت في السابق وهم الأغلبية ويؤدي مشاركتها في الحكم وبناء الدولة إلى الابتعاد عن تأثيرات التطرف وتنظيماته.

وتدرك الإدارة الأمريكية أن أي عمل ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" دون إيجاد حل للأزمة السورية سيؤدي إلى بقائه وزيادة قوته، لأن استمرار النظام الحاكم بالاستبداد واستخدام العنف والقتل سيؤدي إلى زيادة التطرف والتحاق أنصار المجموعات المسلحة بتنظيم الدولة الإسلامية، كما أن سلوك الإدارة الأمريكية الذي يقوي وجود إيران الشيعية في المنطقة في إطار المقايضة على برنامجها النووي، يعطي الشرعية لخطاب "الدولة الإسلامية" ويؤسس لبناء جيل متطرف جديد.

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "5"

■ دمشق – حمزة السيد

الرسام والخروف

حين وصل ماهر البارودي عام 2002 إلى دمشق للمشاركة في ملتقى المحبة الثاني للنحت، استقبل المواطن الفار من الخدمة الإلزامية في صالة التشريفات الكبرى في مطار دمشق الدولي، فالدعوة التي وجهت له من قبل وزارة الثقافة سمحت له بالدخول إلى البلاد بعد غياب دام لأكثر من خمسة عشرة عاماً من دون ملاحقة قانونية، فرح البارودي بوصله إلى سوريا أخيراً، حيث تمكن من زيارة والدته وأقاربه، ولم يكن ليشارك في ملتقى اللاذقية إلا لهذا الغرض.

غادر البارودي دمشق بعد تخرجه من كلية الفنون الجميلة في العاصمة السورية، غادر كما قال في مرة «لأن الناس هنا ليسوا بجيدين، هنا ينتقدونك بسبب أي شيء وبشكل شخصي جداً» واختار باريس ليدرس ويعمل ويتزوج فيها، وتمكن من أن يُدرس في إحدى جامعاتها رغم أنه لم يحقق حتى ذلك العام أي نجاح مادي أو فني كبير، إلا ما بعد الفترة التي اتخذ فيها من حيوان الخروف رمزاً فنياً له.

يجمع المقربون من البارودي على أنه شخص ذو حساسية مفرطة، هو في الحقيقة يكاد يكون من أكثر الفنانين حساسية ولطفاً، ولا نبالغ حين نقول إنه من أكثرهم ضعفاً، أذكر أني التقيت به مرة مع بعض الأصدقاء وكان تخرجنا حديثاً من كلية الفنون، كنا نهزأ من عمله النحتي عام 2002، ولم نكن ندرك أن الرجل ذو الجسم الصغير القريب من العمل هو ذاته النحات، سخرنا وضحكنا بجهل طلاب لم يفهموا الفن جيداً بعد، ولم يعرفوا أن تاريخ الفنان وحياته لا يمكن فصلهما عن إنتاجه، بعد قليل أدركنا أنه هو الفنان، وبدأنا الحديث معه، لم يعاتبنا ولم يتخذ موقفاً تقليدياً من فنان تجاه طلاب حديثي التخرج، بل شرح لنا عمله وبين لنا لماذا يحب الخراف، الرجل الذي يبدو أصغر بكثير من عمره، تحوي ملامحه ونظراته القلقة نحو الآخر، أدلة على ما تركته دمشق عليه، إذ تجمع معظم المعلومات عنه أنه تأثر كثيرا بأخيه المصاب بمرض نفسي، فسهر البارودي على علاجه ومتابعته في مشفى الأمراض النفسية في دوما (ريف دمشق)، حين كان طالباً ليسافر بعدها برفقته إلى باريس، يقول أنه تعلم كثيراً من أخيه، ومن تلك الحالات التي يمتاز بها التكوين الجسدي للمريض نفسياً، فيما تحدث أكثر من مرة عما لاقاه من سخرية في العاصمة السورية طول سنواته الأربع والعشرين التي عاش فيها في البلاد قبل أن يغادرها باتجاه باريس التي وجد فيها أن الجميع لا يتدخل في الجميع، فتُرك بحاله كما كان يشتهي.

تقسم أعمال البارودي إلى مرحلتين أساسيتين، الأولى هي رسمه لشخصيات متعبة مريضة متشردة متأملة، فيظهر متشرد أو متشردة، ممداً على الأرض في ركن ما، لماذا يشد هذا أي رسام في عصر يجب أن تكون فيه اللوحة جميلة وتناسب بقية الفرش في الصالون؟ ويقال أنه استقى معظم شخصياته التي رسمها بالأبيض والأسود مما شاهده في المشفى النفسي، ثم في شوارع باريس، استمر بهذا الخط حتى عام 2002، حين ظهر الخروف في لوحته للمرة الأولى، ثم في منحوتاته التي لا بد من القول بأنه بشكلٍ أضعف بكثير من لوحاته، فحين ينحت بارودي يكون في حقيقة الأمر يرسم على الحجر أو البرونز بل كأن يرسم تاركاً انطباعاً سطحياً على التكوين الكبير، كان من يوصف بهذا عادة هو مايكل أنجلوا حين يرسم، فالمعلم الإيطالي الكبير كان ينحت حين يرسم، وقد تكون حالة أنجلوا أكثر نجاحاً من أن يتحول الرسام إلى نحات.

لماذا الخروف؟ يفسر بارودي خرافه التي تتموضع في اللوحة بعدد لا منتهي من التفسيرات، فهو كائن لطيف مغلوب على أمره لا يؤذي أحد ويمتاز بالطاعة، أو لأننا جميعاً خرفان ضمن قطيع واحد، التفسير الثاني ظهر متأخراً عن الأول، وربما اتخذ نوعاً من التفسير السياسي نتيجة لأحداث سوريا اللاحقة، أو قد يكون تأثر بالفعل بما حدث في العالم بعد الحادي عشر من أيلول عام 2001 من غزو لأفغانستان والعراق، وهو الذي تأثر بمجازر أخرى في العالم في وقت مبكر من حياته، فيما بإمكان أي متابع للوحة أن يفسر كما يشاء السبب من أن يكون الخروف بطلاً تشكيلياً، فيما تحتاج الكثير من الوقت لتدرك أن البارودي ذاته يشبه خرافه، وديع مثلها، وأقرب للإنزواء، حتى ملامح وجهه الوسيم والأنيقة في الحقيقة، فيها من الخراف أثر ما لا يمكن تفسيره.

في ملتقى جيم عام 2004، نقش البارودي –كالعادة - أرقاماً على منحوتته «24*24» وهذه المرة دلل على الفترة التي قضاها في دمشق وقد أصبحت ذات المدة التي قضاها في باريس، ورغم أنه كان ينتظر أن يصبح في الثامنة والأربعين من العمر كي ينتهي من الخدمة الإلزامية لأن القانون يعفيه منها بهذا العمر، إلا أن القدر خالفه، إذ عُدل القانون ليصبح عمر الإعفاء اثنين وخمسين عاماً، فاضطر البارودي للانتظار أربع سنوات إضافية، مكملاً عمله النحتي الثاني في سوريا الذي بدا أكثر اكتمالاً من ذاك الذي نفذه عام 2002، إذ لم يكن الأول قد كلفه الكثير من العمل مع حجر تُركت معظم سطوحه من دون لمس، يزينها «بورتريه» خروف على القاعدة، مع درج يصعد نحو دائرة، والكثير من الأرقام، في الثاني بقي الدرج وإن كان لا يصعد بك نحو شيء، لكن السطوح احتدت واستقامت على الحجر الإيطالي، فيما ساعدته صخرة وجدها في موقع العمل «قرية مركية» على تكريم بطله المحتقر عادة، إذ كانت تشبه الخروف ولا تحتاج لكثير من العمل.

مع الخروف وبعده امتلكت بعض شخصيات البارودي جرأة عالية ونادرة بالنسبة لفنان من الشرق، على الأقل لم يكن الوسط الفني السوري معتاداً على ظهور منحوتات عارية تظهر أعضائها التناسلية بوضوح شديد، فكيف إذا كان العمل أساساً يعتمد على العضو الذكري، كالمنحوتة التي سكبها من البرونز لامرأة تملك عضواً ذكرياً تبول منه في جرن صغير، أو لوحته الذي يظهر فيها ثلاثة رجال بوجوه خبيثة أحدهم ترك عضوه الذكري خارج ملابسه، وقد بدت عليه علامات النشوة، سجلت أمراً غريباً بين فناني دمشق وإن كانت لم تعرض فيها، بعد البارودي، أطلق الفنان الشاب محمد عمران الذي توجه لباريس أيضاً معرضاً ضم منحوتات رجال تمارس العادة السرية، أو تضاجع نساءً في وضعيات أقرب لأفلام البورنو، في تأثر واضح من عمران بأعمال البارودي كما قال بنفسه في مقال له في صحيفة الغد العربي.

من جديد لم يسأل أحد البارودي عن موقفه السياسي، فيما تبدو أعماله تصرخ بالحاجة إلى ثورة، فحين كانت إحدى لوحات تخرجه من كلية الفنون بدمشق عن مجزرة تل الزعتر - وإن كنا نعتقد أنه لم يسمها كذلك ولم يجرؤ على ذكر ذلك علناً - وحين كان يرسم جنرالاً بأوسمة عدة مع أيقونات تقي من الشر والعين والحسد، وحين كانت خرافه تتجمع أمام شخصية تدلي بخطاب، أو حين كان الخروف ينظر أليك في الحلوة لا لكي تراه بل لكي ترى نفسك أنت، كان البارودي يثور باللون، ويدعو لثورة ما، وربما لا تكون سياسية بالقدر الذي كان هو فيه يحتاج لثورة اجتماعية في بلاد لم يلقى فيها أي تقدير يشتهيه.

عبد الوهاب أبو السعود 1897 - 1951

■ ياسر مرزوق

ولد عبد الوهاب أبو السعود في مدينة نابلس عام 1897، لآل أبو السعود الأسرة العريقة التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الحادي عشر، والده عبد اللّه شوقي أبو السعود الضابط في الجيش العثماني.

إثر خلاف مالي مع الأسرة انتقل عبد اللّه أبو السعود إلى مدينة صيدا، وهناك تلقى عبد الوهاب علومه الأساسية في كتاتيب المدينة حيث تعلم القراءة والكتابة، وحفظ بعض آيات القرآن الكريم، انتقل بعدها إلى بيروت فانتسب إلى مدرستها الشهيرة « سلطاني بيروت » التي كانت تجمعاً لأبناء الأسر العريقة من سوريا ولبنان وفلسطين، وهناك تلقى مبادئ الرسم، وبدأت علاقته القوية مع الفن التشكيلي الذي لازمه طوال حياته.

انتقل بعدها إلى مصر للدراسة في جامعة الأزهر بناءً على طلب والده، وفي مصر اطلع على النهضة المسرحية والفنية بشكل عام في، فصار يتردد على دور التمثيل كل مساء، ويتعرف إلى بعض الممثلين ويصادقهم، وما هي إلا أشهر حتى بات المسرح يشغل الحيز الأكبر من اهتمامه، وكانت هذه المرحلة بداية تعلقه بالتمثيل، فانقطع عن الدراسة في الأزهر وانتقل للعمل في إحدى الفرق المسرحية لمدة عام ونصف، وقام بتمثيل بعض الأدوار في المسرحيات المعربة التي كانت تقدمها فرقة جورج أبيض، مثل «عطيل » من تعريب: خليل مطران و» أوديب « من تعريب فرح أنطون، و» لويس الحادي عشر « من تعريب: الياس فياض.

عاد بعدها إلى صيدا بناءً على طلب والده الذي لم يرضى أن يعمل ابنه في المسرح، حيث مارس التدريس لفترة في بلدة حاصبيا، انتقلت عائلته لتقيم في دمشق عام 1910، وخلال الحرب العالمية الأولى استدعي أبو السعود للالتحاق بالخدمة في الجيش العثماني، فما كان منه إلا أن توارى عن الانظار، واختار التدريس عملاً له، لأن المدرسين كانوا يعفون من الخدمة العسكرية، لشدة الحاجة إليهم، ومارس التعليم في مدرسة الملك الطاهر في باب البريد، وهناك قام بتأسيس الفرق المسرحية للطلاب.

1918 أسس نادي الاتحاد والترقي للنشاط الفني والوطني، وتحول اسم النادي إلى النادي العربي بعد دخول فيصل إلى سورية، ورفع عبد الوهاب أبو السعود العلم العربي لأول مرة على مبنى النادي.

مع خروج المستعمر الفرنسي وبداية الحكم العربي تعاون أبو السعود مع الأديب الكبير « معروف الأرناؤوط » الذي كتب مسرحية « جمال باشا السفاح » والتي تدور أحداثها حول ظلم الأتراك، وقدمت المسرحية في صالة « زهرة دمشق » وكان مقرها في ساحة المرجة، وقد حضر العرض الأمير فيصل، وضباط الجيش العربي، وعدد كبير من رجالات دمشق ووجائها، وشارك في التمثيل عدد من الفانين في مقدمتهم « توفيق العطري » ومع هذه المسرحية اعتبر أبو السعود الرائد الثاني

للمسرح السوري بعد أبو خليل القباني، قدم بعدها العديد من المسرحيات التي لاقت ترحيباً شعبياً.

وفي عام 1921، عادت جريدة « جراب الكردي » لصاحبها ومؤسسها محمد توفيق جانا بعد أن توقفت عام 1915 عن الصدور، بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914، وكانت تصدر في ذلك الوقت في مدينة حمص.

وقد حرصت الجريدة على نشر رسم كاريكاتيري في الصفحة الأولى وتحت العنوان مباشرة، وعلى عرض صفحة الجريدة، ويلي الرسم المقالة الأولى وهي الافتتاحية التي تكون حول موضوع الرسم السياسي حيناً والاجتماعي حيناً آخر، وكان الرسام يكتب باستمرار في أسفلها « صورها عبد الوهاب ».

مع دخول الفرنسيين دمشق انخرط أبو السعود في عداد الثوار وبدأ يتنقل بثياب الفلاحين متوارياً عن الأنظار، ولم ينقطع عن تدريس مادة الرسم في مكتب عنبر، ومع قيام الثورة السورية الكبرى عام 1925 أسهم عبد الوهاب ببث روح المقاومة بين طلابه، كما أخذ يجمع المال للثوار، واستأنف تقديم مسرحياته الوطنية والاجتماعية، ولعل أشهرها في تلك الفترة كان مسرحية « شكسبير ».

عام 1930 أسس مع أخيه رشاد والد الملحنة والباحثة الموسيقية إلهام أبو السعود دار الألحان والتمثيل، وبعد أن ذاع صيته في مجال الفن التشكيلي، ولا سيما الأعمال الزخرفية، بعث إليه وزير المعارف عام 1931 العلامة « محمد كرد علي » بكتاب رسمي، كلفه فيه بعضوية لجنة رسمية غرضها إقامة معرض للتصوير، قدم فيه أبو السعود أعمالاً عن صلاح الدين الأيوبي وهارون الرشيد، والفارابي وابن سينا، معركة اليرموك، خالد بن الوليد، عمر بن الخطاب على أبواب بيت المقدس، أبو علاء المعري.. منها لوحات مأخوذة من الطبيعة كالقرى المحيطة بدمشق، التكية السليمانية، قصر الحمراء في الأندلس، ثم موضوعات من الحياة اليومية مثل الحكواتي في مقهى النوفرة. ونشرت هذه اللوحات في كتاب التاريخ المدرسي لاحقاً.

عام 1933 قررت وزارة المعارف إعادة النظر في ملاكها، وقررت تصنيف موظفيها اعتماداً على تحصيلهم العلمي، فأعادت أبو السعود للتدريس في المرحلة الابتدائية، لأنه لم يكن يحمل الشهادة الجامعية، فسافر إلى باريس - فرنسا ودرس هناك الرسم والتصوير الزيتي، وسافر بعدها إلى اسبانية، وعاد إلى دمشق بعد أن تخرج عام 1937 من أكاديمية الفنون الجميلة في باريس.

متسائلاً: « لماذا لا نعتني نحن بالفن، أليست عظمة باريس أنها مرسم ومتحف ومسرح، وإذا جردتها منها.. فماذا يبقى من عظمتها »، وبهذه الروح انصب نشاط أبو السعود على المسرح المدرسي، ولشدة تعلقه بالمسرح كان يصرف الأزياء والديكور من جيبه، ويختار مجموعة من الطلاب الموهوبين للتمثيل في محاولة جادة لزرع الفن المسرحي في نفوس طلابه، مقتنعاً أن القاعدة الجماهيرية لهذا الفن يبدأ من طلاب المدارس كونهم صغاراً.

قدم العديد من العروض المسرحية على مسارح دمشق، وكان رواده من النخب السياسية والمثقفة، كما شارك في وضع أول منهج علمي لتعليم الرسم في المدارس الإعدادية في سورية.

ترك عبد الوهاب أبو السعود مسرحيتين مطبوعتين هما «وامعتصماه « و» ميلاد محمد « ومن مسرحياته المخطوطة الزباء وجابر عثرات الكرام إضافة إلى مسرحيات كوميدية انتقادية مثل الطبيب والمحامي، وبعرور وقرموش و«الحلاق والثرثار» و«أرقم في جهنم» و«فندق أبو شالوح» و«عنترة وفتى العصر».

عام 1951 كان أبو السعود يقضي الصيف في بلودان مع أسرته، يومذاك طلب إليه راعي كنيسة بلودان الإشراف على عمل مسرحي لصالح الكنيسة وهناك جمع أبو السعود أعضاء فرقته وقدم آخر مسرحياته ونجح الحفل نجاحاً كبيراً،

لم يستطع الابتعاد عن المسرح طوال حياته، وتوفي بعد عرضه لمسرحية في كنيسة بمصايف بلودان على صدر زوجته، إذ جلس في صالة المسرح مع الجمهور على غير عادته، ولما سئل لماذا جلست مع الجمهور؟ قال: حتى أتأكد من أن تلاميذي يستطيعون حمل رسالة الفن المسرحي بجدارة أم لا.. فأنا مطمئن لمستقبل المسرح في بلدي.

وبعد فترة قصيرة أحس بالوهن والإرهاق، وتوفاه اللّه في أيلول من العام نفسه، بعد نضال طويل في خدمة الفن والثقافة.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان 1991 - 1994

1992 / 1 / 1

عندما أوينا للمهاجع كان الثلج يتدافع نحو شبابيك الممر، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف، وكان الحزن يتربص بالنفوس. بقيت في المهجع الأول. أكلنا بعض الفلافل، وصحناً مليئاً بالبيض والبصل، واشتد البرد، وفي تمام التاسعة تحلقنا حول محمد الجندي وراح يحدثنا عن قريته أم ميل الواقعة بين هضبة البلعاس والسلمية. حدثنا عن الربابة والعتابا وأشهر قوّاليها: محمد حسن القطريب، صادق حديد، وسخة زيدان، وعن أعراس الناس وعن الدبكة، كما تحدث عن تجاور البدو، واستقرار القسم الأكبر منهم ومن السلامنة حول العيون والينابيع والمسيلات. روى محمد من محفوظاته بعض أبيات العتابا التي تصف الهجران والظعن والترحال. ثم تحدث قليلاً يوسف السعيد عن ريف إدلب وعاداته.

عندما استيقظت صباحاً كان العام الجديد قد وقف على رجليه، وجاء ليحيينا في السجن، كما يحيي العالم الخارجي. لكنه يختلف هنا عن هناك. هنا لا يضحك حتى لا يبتسم. لا يتحرك. لا يقهقه. المناخ هنا لا يساعده، فالأقفال سيدة الموقف. أقفال تكمّ الأفواه، وهي بفعل المراقبة الشديدة على الآدميين تولد المرض والتكوّم والركود واليأس.

مضى اليوم الأول من العام الجديد مثقلاً بالرمادي كالرصاص، والعاصفة الثلجية لا تغادرنا. عددنا الأبواب التي سنجتازها إن أفرج عنّا فبلغت العشرة، حاولنا تعداد الأقفال، حاولنا تعداد الحراس، حاولنا تعداد الأبواط، حاولنا تمييز الأصوات كي نعدّها أمام هذه الأسلاك الشائكة والأسوار، والمحارس. فلم نستطع ولذا هربنا إلى النوم لأن التفكير في ذلك يُدمي ويُفجع، ومن كثرة ما أحصينا تعبنا، ومن كثرة ما تعبنا تراكم الهم.. الأسى فاض.. ولَجَ الأعماق، يكاد يوقف التنفس.

للتوضيح

علي حسن القطريب: شاعر شعبي. من الحارة الشرقية في السلمية، توفي أثناء وجودنا في السجن. صوته جميل وأجش. يرتجل العتابا وكان سيد الأعراس وحفلات الختان ومواسم الانتخابات يحفظ آلاف الأبيات.

صادق حديد: راسخ القدم في مزجه بين الغناء البدوي والبلدي صاحب مطالع: « أبات الليل « وياناهي «. يعزف على الربابة عزفاً يثير النخوة ويفيض الدمع من جهة ثانية. وهو من قرية برّي.

وسخة زيدان: اسمه محمد لقبه غلب عليه لسلاطة لسانه قصير القامة، بشع المنظر، لكنه حلو القول، يقول: العديويات الراقصة والقرادي.

1992 / 1 / 2

حسب الأخبار الواردة من إدارة السجن أن استئناف عمليات الإفراج سوف تبدأ من اليوم، أو غداً. لذا فإن الباقين في الجناح وهم: ثلاثة وخمسون يتربصون بالأخبار.

أتساءل: هل يمكن إيقاف الإفراجات ونبقى؟.. إن الحرية غالية، والسجن أقسى عقاب، وهذا النظام متْخَم بدوس الإنسان، وهو غير موثوق. طوال الليل والثلج يتساقط، واستأنف التساقط في النهار، وعندما أغلقت الأبواب، وبدأت الإنذارات من أجل التفقد المسائي، لم يقطع بعضهم أمله، وعندما تمّ الإغلاق، قال عايد الهبود: ومضى يوم آخر. طبخت للمهجع برغلاً بلحم الدولة. رغم الإفراجات فإن الراتب الغذائي لم يتغير، فاللحمة الأسبوعية تأتي قليلة جداً ربع أوقية للفرد. تأتي للفرد برتقالة كل يومين أو ثلاثة أيام. فطور الصباح: لبنة أو مربا أو حلاوة، كميته لا تذكر. البيض المسلوق يأتي كل عشرة أيام. أما طبخ السجن فلا ندخله فهو قليل ولا تقبله الكلاب الضالة. اليوم أشعلت التدفئة، ولولا ذلك لتجمدنا من البرد.

1992 / 1 / 3

الساعة الآن الثانية عشر ظهراً. أقرأ في مجلات متعددة. أعمل جاهداً في هذه اليوميات. البرد يشتد.. وحالة التجمد تلف الجميع، وأفراد الجناح ينتظرون وهم يشعرون أنهم قد أصبحوا خارج السجن، وبحكم المفرج عنهم، بل إن العديد يتجول في الشوارع، وبين أهله حراً طليقاً. هذا شعور الجميع وهذا إحساسهم، ومن هنا تأتي صعوبة هذه الأيام القلقة.. الإنتظارية.

فُتحت الأبواب قرابة السابعة صباحاً، فبدت الأرض بيضاء، والثلج سميك ومتجمد، وبعض الطيور تشيل وتسف، وأشجار الصنوبر مثقلة بكتل من الثلج.

دعاني الرفيق محمد الحاج إلى المهجع الثاني لأتناول معه كأساً من المتة. محمد يعرج بفعل إطلاق رصاصة من الأمن الذي داهم بيته في بيروت، فحاول الهرب. أخذنا الحديث إلى أقنية وعيون الماء في السلمية التي جفّت، قال: إن كافة العيون والأقنية سوف تعود مياهها هذا العام، وإن السدود السطحية في هضبة البلعاس ستخزن وراءها ملايين السنتيمترات المكعبة، وستحتشد رفوف البط فوق تجمع المياه، والعيون والقرى. نتمنى أن يفرج عنا في هذا الشتاء الماطر كي نتمتع بربيع جميل.. من يدري ماذا يبيت لنا هذا النظام؟

1992 / 1 / 4

استمر البرد الشديد، كانت الليلة الماضية شديدة البرودة، استيقظت عدة مرات، أشعر بقلة الدفء. كنا بلدية الجناح. وزعنا الخبز والشاي.. في هذا الجو المتجلد فإن إخلاء السبيل نعمة. خبّرنا ناجي الطبيب أن دفعة جاءت من تدمر، وتم إخلاء سبيلها في 31 / 12 / 1991. وقال نقلاً عن مدير السجن: إن القوائم في فروع الأمن.

جاءت زيارة لعلي الخطيب من قرية جيبول، ومن حزب العمل، ورستم رستم ومنذر ملحم، ولعصام دمشقية، وقد جاءت أخته وصهره أسامة ظريفة، وقال: تقديري ومن مصادر موثوقة أن الإفراج تأجل لآذار. وجاءت زيارة للدكتور مزيد حداد قريب الدكتور حبيب حداد عضو القيادة القطرية لجماعة شباط والذي هرب إلى الجزائر ثم إلى أمريكا، قال له أبوه إن ضابط أمن على صلة قرابة به رأى اسمه في إحدى القوائم.

دخلنا المهجع، وعاد أبو صلاح يحدثنا عن الحفريات والآثار قال: هناك على ضفاف البليخ عند كل قرية تل أثري، واستأنف الحديث: هناك توابيت فخارية مزخرفة، وخواتم من الذهب عند رأس المتوفاة عليها طبعة حمراء من العقيق. في داخلها صورة فتاة تركب فرساً وتحمل وردة. إن لصوص الآثار يشترون هذه الحاجيات بثمن بخس.

عايد الهبود وخلف الثلجي ودويحان الشيمة من المنطقة تحدثوا عن الألقيات في خربة جحاش وخربة هدله وفي تل خنزير وفي أرض متراس القريبة من قرية الهيشة، كما جاؤوا على ذكر تل السمن وجميع هذه الأماكن بين عين عيسى والرقة، وقالوا أن أولاد خال أبي صلاح عثروا على دورق من الفخار مليء بالليرات الذهبية.. وتكلموا عن تربة التبر التي تنير ليلاً وحكاية السراج المنير (أظن أنه مطلي بالفوسفور).

• منذر ملحم من المخرم التابعة لحمص. اعتقل مع اثنين من أشقائه عام 1986، وشقيقهم منيف معتقل منذ عام 1980.

• عصام دمشقية من كوادر حزب العمل القيادية انتقل من حزب البعث إلى حزب العمل عام 1979. اعتقل عام 1980. هو متطرف صادق وودود. غريب أحياناً.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والعدالة السياسية

■ إعداد المحامي فارس حسّان

من الممكن أن نوجز وظائف أي نظام سياسي، بتحديد أهداف المجتمع والدولة التي تتركز حول الرفاهية والأمن، وتعبئة طاقات المجتمع وضمان مشاركة ابنائه في تحقيقهما، ودمج العناصر التي يتألف منها المجتمع، أو توحيدها، لتعزيز عناصر قوة الدولة ومن ثم ضمان مصالحها وتحقيق أهدافها، والمطابقة بين الحياة السياسية، كما هي ممارسة، مع القواعد القانونية والسياسية الرسمية، أي اضفاء المشروعية على العملية السياسية ومن ثم النظام السياسي نفسه، وتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين، والعدالة هي الجوهر الأساسي للفكر السياسي برمته، حسب رأي أرسطو، وهي الفضيلة التي تنطوي تحتها، وتترتب عليها، جميع الفضائل السياسية الأخرى، بل إن قيمة العدل تبدو شرطا أساسيا لوجود « الدولة « بتنظيمها القانوني والاجتماعي والسياسي، فإذا وُجد العدل في مجتمع بشري ما فإننا نكون أمام دولة، أما إذا غاب العدل فإننا نكون أمام أي شكل اجتماعي، لكنه ليس الدولة، ولذا يري أفلاطون أنها السمة الأساسية للنظام السياسي الفاضل.

وتنقسم العدالة من الناحية النظرية إلي نوعين، الأول هو: العدالة التبادلية، التي تقوم علي المساواة المطلقة، بشكلها الرياضي البحت. والثاني هو: العدالة التوزيعية، التي تقوم علي مبدأ الاستحقاق، أي أن يحصل كل فرد علي ما يستحقه وفق إمكاناته واستعداداته وظروفه.

تقول « أميمة العبود « في كتابها « العدالة في الفكر الليبرالي الجديد « الصفحة 63 إلى أن: « أن كلمة العدالة تستمد في التراث الغربي من كلمة القانون. وكلمة القانون أصلها اللاتيني واليوناني مرادف لكلمة ' القيد ' أي اللجام الذي يحكم مسيرة الحقيقة، ومن ثم فإن كلمة ' العدالة ' تعني ما هو مطابق للقانون: مفهوم شكلي أساسه أن التشريع، أي الإرادة الشعبية أو الإرادة الحاكمة قد تبلورت في شكل نصوص معلنة هي علامة الحق وما هو عدل. وهذا المفهوم الشكلي تطور خلال القرن التاسع عشر لتدخله عناصر جديدة أساسها أن العدالة قد تكون شكلية، وقد تكون موضوعية، قد تكون مطلقة، وقد تكون ذاتية «.

بينما يذهب « علي خليفة الكواري « في كتابه « المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية « الصفحة 238: « يقوم مفهوم العدالة في الإنصاف علي التوفيق بين مفهوم الحرية والمساواة، ولا يوجد معيار مطلق للتوزيع العادل، فالتفاوت وعدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية يمكن قبوله فقط إذا كان في مصلحة الأقل تميزاً ودون التضحية بمن هم أقل أو أكثر تميزاً. أما مفهوم العدالة كحق التملك فقد جاء رداً علي المفهوم السابق وبديلا له، حيث يقوم علي تأكيد الحريات والحقوق الفردية، ويعطي الأولوية لمعيار الأحقية في الامتلاك العادل سواء كان بالاكتساب أو بالنقل والتحويل بعيدا عن أي تدخل. وفي مواجهة المفهومين السابقين نجد مفهوم العدالة كفضيلة اجتماعية، والذي يأخذ في اعتباره المجتمع كقيمة عليا وما يؤدي إليه التضامن والتماسك المجتمعي والفهم المشترك إلي تحقيق الخير العام والمشترك لجميع أفراد المجتمع الذي ينتمون إليه، وتصبح مثل هذه القيم وعلي رأسها قيمه المجتمع هي المعيار الأساسي والأمثل للتوزيع العادل «.

وفي تحليل جون لوك ودفاعه عن الأفراد وحقوقهم الأساسية يوضح أهمية القوانين في الدولة، فهي هامة لا كغاية في حد ذاتها، ولكن لأن تطبيقها قيد علي المجتمع يمكن عن طريق تحقيقه أن يكون لكل فرد دوره في المجتمع. فإذا كفت القوانين عن عملها يصبح الأفراد في حالة فوضي مع عدم وجود نظام أو رابطة أو وضوح رؤية، وبالتالي لا تصبح هناك إدارة للعدالة لحماية حقوق الأفراد، ولا توجد هناك إمكانية لحماية الأفراد والمحافظة علي حرياتهم الطبيعية.

ثمة علاقة عميقة تربط بين مفهوم المواطنة ومفهوم العدالة السياسية في السلطة والمجتمع. حيث إن المواطنة تأخذ أبعادها الحقيقية في الفضاء الاجتماعي، حينما تتحقق العدالة السياسية وتزول عوامل التمييز والإقصاء والتهميش. وحينما تتحقق العدالة يتعمق مفهوم المواطنة في نفوس وعقول أبناء المجتمع. أما إذا غابت العدالة السياسية، وساد الاستبداد السياسي وبرزت مظاهر الإقصاء والتهميش، فإن مقولة المواطنة هنا تكون في جوهرها تمويهاً لهذا الواقع وخداعاً لأبناء الوطن والمجتمع.

تتحقق العدالة يتعمق مفهوم المواطنة في نفوس وعقول أبناء المجتمع. أما إذا غابت العدالة السياسية، وساد الاستبداد السياسي، وبرزت مظاهر الإقصاء والتهميش، فإن مقولة المواطنة هنا تكون في جوهرها تمويهاً لهذا الواقع وخداعاً لأبناء الوطن والمجتمع

لذلك فإننا نعتقد أن المقياس الحقيقي لقياس مستوى المواطنة في النظام السياسي والاجتماعي، هو مقدار وجود متطلبات العدالة السياسية في الواقع الاجتماعي والسياسي، والتي تتجلى في نزاهة العقد الاجتماعي بين الحكام والمحكومين، ويفرض وضع المسؤولين في خدمة الشعب، وخضوع الجميع لسلطان القانون، شريطة أن يكون هذا القانون معبراً عن مصلحة المجتمع الحقيقية، وليس مفصلاً حسب مقاس طبقة أو فئة اجتماعية معينة، كما هي الحال في العديد من القوانين، التي تنظم الحياة الاجتماعية، خاصة المتعلقة بالسلطة في البلاد العربية.

لذلك فإن الحصول على مواطنة حقيقية ومخلصة، بحاجة إلى عدالة سياسية تستوعب جميع القوى والشرائح والفئات، وتكون من ثوابت النظام ومؤسسة الدولة وحقائق المجتمع والمواطنين. فالطريق إلى المواطنة بكل مقتضياتها ومتطلباتها، هو العدالة بكل مستلزماتها وآفاقها.

باراك أوباما: أحلامٌ من أبي «قصة عرق وإرث»

ترجمة الكتاب: هبة نجيب مغربي، وإيمان عبدالغني نجم
■ مراجعة: ياسر مرزوق

كتابنا اليوم لباراك أوباما الإنسان قبل أن يعتلي عرش العالم ولا علاقة لهذا الكتاب بكونه رئيس أكبر دولة في العالم بل ربما قد يكون سبباً في إيصاله لكرسي الرئاسة. وفيه ينقل باراك سيرة حياته بين جديه في هاواي ثم ذكرياته مع والدته في إندونيسيا حين تزوجت للمرة الثانية وهناك عاش باراك حياة ريفية عركته الحياة نتيجة لتباين الحياة التي عاشها هناك عن أميركا. كتبت السيرة بأسلوب أدبي جميل خاصة في الفصل الذي توجه فيه إلى القارة الأفريقية.

يقول أوباما عن كتابنا اليوم: «مهما كان الوصف الذي سيلتصق بهذا الكتاب: سيرة ذاتية أم مذكرات أم تاريخ أسرة أم شيئاً آخر، فإن ما حاولت أن أفعله هو كتابة سرد صادق لجزء محدد من حياتي، وأدين بعميق الفضل لعائلتي، أمي وجدي وجدتي وإخوتي المنتشرين عبر المحيطات والقارات، وإليهم أهدي هذا الكتاب، فبدون حبهم ودعمهم المستمرين وبدون استعدادهم لأن يتركوني أتحدث بلسانهم وتسامحهم مع ما أقع فيه من أخطاء بين الحين والآخر، لم يكن بإمكاني حتى أن آمل أن انتهي من الكتاب».

ويضيف «إن هناك مخاطر متأصلة في تأليف أية سيرة ذاتية، إغراء أن يلون المؤلف الأحداث بالطريقة التي يفضلها هو، والنزعة للمبالغة في تقدير أهمية تجربة الفرد للآخرين، وزلات الذاكرة المتعمدة.. ولا يمكنني أن أقول إنني تجنبت كل هذه المخاطر بنجاح، أو أياً منها، ومع أن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب يعتمد على تسجيل متزامن للأحداث أو التاريخ الشفهي لعائلتي فإن الحوار تقريب ضروري لما قيل بالفعل أو ما روي لي، وبدافع الاختصار فإن بعض الشخصيات التي ظهرت ما هي إلاّ مركب من أناس عرفتهم، وبعض الأحداث تظهر خارج الترتيب الزمني الدقيق لها، وباستثناء عائلتي وحفنة من الشخصيات العامة فإن أسماء معظم الشخصيات قد تم تغييرها للحفاظ على الخصوصية».

الكتاب سيرة ذاتية واقعية ومعبرة تستحوذ كيان القارئ، فيها يبحث ابن رجل إفريقي وسيدة أمريكية عن معنى حقيقي لحياته كأمريكي أسود، وتبدأ أحداث هذه القصة في نيويورك حيث تلقى باراك أوباما خبر وفاة والده في حادث سيارة، والده الذي مان في عينيه أسطورة أكثر من كونه إنساناً عادياً، وهذا الموت المفاجئ أشعل بداخله فتيل رحلة عاطفية تبدأ في مدينة صغيرة في كانساس يتعقب منها هجرة عائلة والده إلى هاواي، ثم تأخذه الرحلة إلى كينيا حيث يقابل الفرع الكيني من شجرة عائلته، ويواجه الحقيقة المرة لحياة والده وفي النهاية ينجح في رأب الصدع بين شقي إرثه الممزق.

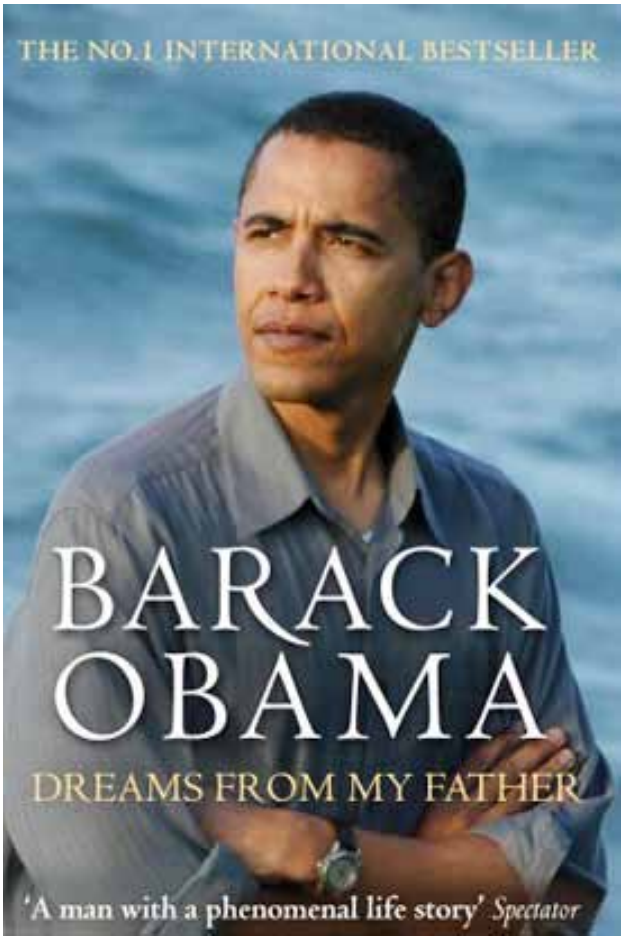

يصف أوباما المرحلة الأولى من تشكل وعيه بأنها انطبعت على قدر أكبر من المعتاد من اضطراب فترة المراهقة، حيث كان يكافح لفهم إرثه العرقي المختلط والذي كان لا يزال حينئذ غير مألوف نسبياً في الولايات المتحدة. ولعل جذوره التي كانت مترسخة في الثقافتين السوداء والبيضاء هي التي ساعدت في إكساب أوباما الرؤية الشاملة التي جاء بها إلى السياسة بعد عدة سنوات، رؤية تتفهم وجهتي النظر معاً.

يقول أوباما عن شخصيات الكتاب: «معظم هذه الشخصيات تظل جزءًا من حياتي، وإن كان بدرجات متفاوتة، عملاً وأطفالاً وجغرافية ومصائر. الاستثناء الوحيد هو أمي، التي فقدناها بسرعة وحشية بسبب مرض السرطان بعد بضعة أشهر من نشر هذا الكتاب. كانت قد قضت السنوات العشر السابقة تفعل ما تحب، فكانت تجوب العالم تعمل في القرى النائية في آسيا وأفريقيا تساعد النساء على شراء ماكينات خياطة أو بقرات حلوب أو الحصول على فرصة للتعليم قد تمنحهن موطئ قدم في اقتصاد العالم. وكان لديها أصدقاء من كل مكان، وكانت تتنزه سيرًا على الأقدام وتحدق في القمر وتبحث في الأسواق المحلية في دلهي أو مراكش عن شيء صغير مثل وشاح أو قطعة حجرية منحوتة يجعلها تضحك أو يسعد ناظريها. وكتبت التقارير وقرأت الروايات وأزعجت أطفالها وحلمت بأحفادها.

كنا كثيرًا ما نرى بعضًا، فصلتنا لم تنقطع، وخلال تأليف هذا الكتاب، كانت تقرأ المسودات وتصحح القصص التي أسأت فهمها، وتحرص على عدم التعليق على وصفي لها لكن تهرع إلى تفسير أو دفاع عن الصفات الأقل جاذبية في شخصية أبي. وقد تعاملت مع مرضها بلطف ودعابة، وساعدتني أنا وأختي على أن نستمر في حياتنا، رغم خوفنا ورفضنا وانقباضات قلبينا المفاجئة».

يبدأ أوباما قصته في نيويورك حيث يسمع أن والده وهو الأب الذي عرفه كأسطورة وليس كرجل قد لقي مصرعه إثر حادث سيارة، فيقول: «لم يكن أبي إنساناً عادياً بل أسطورة، فقد ترك هاواي عام 1963 وحينها لم أكن تجاوزت الثانية من عمري، لذا لم أعلم عن أبي حين كنت طفلاً إلا من حكايات أمي وجدي، وكان لكل منهم حكاياته المفضلة، وكان كلٌ منهم مترابط وسلس من كثرة التكرار».

مع هذا الخبر يسترجع أوباما تاريخ عائلته غير المألوف بداية من هجرة عائلة أمه من بلدتها الصغيرة بولاية كانساس إلى جزر هاواي، ومرورًا بمشاعر الحب التي نشأت بين أمه وبين طالب كيني واعد شاب وهو الحب الذي اشتعلت جذوته بفعل براءة الشباب وبالروح المؤيدة للاندماج العرقي التي سادت في مطلع ستينيات القرن العشرين.

انتقل أوباما إلى شيكاغو ليعمل في وظيفة منظم للمجتمع الأهلي مدفوعًا بالرغبة في فهم القوى التي أسهمت في تشكيله وأيضًا في فهم أسطورة أبيه. وهناك عمل في مواجهة خلفيات الصراع السياسي والعرقي العنيف من أجل إخماد نيران اليأس المتصاعدة في تلك المنطقة الفقيرة من المدينة. وهكذا تتحد قصته مع قصص من يعمل معهم إذ يتعلم قيمة المجتمع وضرورة معالجة الجراح القديمة وإمكانية وجود الإيمان في غمرة المحن.

وفي كينيا تعود رحلة أوباما إلى نقطة البداية من جديد حيث يلتقي أخيرًا مع الجانب الأفريقي من عائلته ويواجه الحقيقة المرة لحياة أبيه. يكتشف أوباما أنه مرتبط ارتباطًا لا مفر منه بأشقاء وشقيقات يفصل المحيط بينه وبينهم بعد السفر إلى بلد يقاسي بشدة من الفقر المدقع والصراع القبلي وإن كان شعبه يواصل الحياة بفعل روح التحمل والأمل، وفي النهاية وعن طريق تبني نضالهم المشترك ينجح في جمع شمل إرثه المتمزق.

أصلي لأجل السلام في كل يوم، وأصلي لأجل أن تبث السماء الهدوء فيكم.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

عمل للفنان أنس سلامة

دليل الفلسطيني الجديد للهرب عبر الحدود

■ دمشق - عامر محمد

يحتاج اللاجئ الفلسطيني السوري إلى تأشيرة كي يدخل إلى الأراضي التركية، ولا يسمح له بالدخول إلى الأراضي اللبنانية أو الأردنية أو العراقية، ولأنه لاجئ لا أكثر، لا يزال يحاول أن يبقى حياً في مكان ما، لذلك كان ولا يزال يدخل تركيا عبر طرق التهريب النشطة من الأراضي السورية إلى الأراضي التركية، وحين يصل تستقبله الحكومة التركية وتصدر له إقامة، الرحلة البرية للفلسطيني تمرّ بمراحل عدة وتستغرق أكثر من أربع وعشرين ساعة.

أيها اللاجئ، ستمر على أكثر من خمسة وثلاثين حاجزاً للنظام، ثم حواجز دولة الخلافة وجبهة النصرة والجيش الحر والقوات الكردية، إن نجوت منها فقد وصلت إلى تركيا، سالماً غانماً وهارباً من حرب دمشق، ومن الأفضل أن تسافر مع أي أنثى فهذا سيخفف من الشكوك بشأنك، وعليك أن تتزود بما يكفي من المال الذي ستدفعه وأنت تقطع الأراضي السورية لمسلحي الحواجز، لقاء عدم قتلك أو تشويلك أو اعتقالك، وحين تصل تركيا، ستكون فلسطينياً سورياً يتابع رحلة شتاته في الأرض.

أيها اللاجئ، عند الثالثة فجراً عليك أن تكون في ركن الدين، وتحديداً عند مشفى ابن النفيس، من هناك تنطلق حافلة دمشق –عفرين، وطريقها الحقيقي هو دمشق تركيا، ليلاً بإمكان حافلة أبو جمعة أن تجمع الركاب دون أن يتدخل العناصر في المنطقة، فهؤلاء تركهم ضباطهم وانصرفوا إلى منازلهم، وهم مرهقون وقد أرضاهم أبو جمعة ببعض المال، فلن يتدخلوا فيما يفعل.

أيها اللاجئ، أنت تتوجه إلى عفرين لأنك ستحضر عرساً أو مأتماً، قل هذا أو حضر أي مناسبة اجتماعياً تستخدمها كحجة لسفرك في بلاد نصفها يحترق ونصفها الآخر يستعد لذلك، كي تطلقها بوجه عناصر الحواجز النظامية الكثيرة حين يسألونك عن سبب سفرك إلى عفرين في حلب، ستسألك الحواجز عن عملك، عن أهلك، عن رقم بطاقتك الشخصية، عن مالك وما تحمل من أمتعة، وتذكر أن أربعة حواجز على الأقل سيقوم عناصرها بإنزالك من الحافلة وتهديدك بالاعتقال، سيتهمونك بأنك فلسطيني ناكر للجميل، أو مسلح قتلهم في اليرموك ودرعا واللاذقية، أو سيتهمونك بالانتماء لحماس، في السلمية سينزلك العنصر لأنك فلسطيني فقط، سيدخل الرعب إلى قلبك، لكن لا تقلق أيها اللاجئ، فكل الرعب الذي ستشعر به وأنت تقف فجراً في العراء أمام مسلح يعطيك درساً في الوطن، سيزول بمجرد أن تعطيه ألف ليرة وما فوق، لا تخف أيها اللاجئ، فهم ينتظرون تلك الرائحة التي يبعثها الرعب فيك، تماسك وتابع الطريق.

أيها اللاجئ، من هنا تكون قد انتهيت من حواجز النظام، وبدأت تدخل الأرض التي لم تعرف من الحرية إلا أن تدفع ثمنها ولا تدركها، أنت في حلب تقريباً، والحافلة تتابع السير نحو أرضك المؤقتة الجديدة، السائق شهم ونصاب في ذات الوقت، فهو سرقك بالسعر الذي تقاضاه منك لقاء مقعد، وحماك حين حاول أحد الحواجز تغييبك فتدخل وأنقذك منهم، في نقطة ما ستتوقف الحافلة ويصعد إليها باكستاني يحدثك الفصحى وينزلك كما فعل من سبقه، سينظر في بطاقتك الشخصية وينزلك لأنك فلسطيني فقط، فأنت كما سيقول لك: عطلت النصر وأجلته بما ارتكبت من معاص وأغضبت العليّ القدير، تابع الدرس الديني الذي أنت فيه تلميذ سابقٌ لأبليس، فبعد قليل سيطل عليك "أمير" قل له أنك هارب من الخدمة العسكرية لدى النظام، ولا تخف حين سيعرض عليك أن تقاتل معه وبين جنده، أملئ الاستمارة التي سيعطيك إياها لتلتحق بجيشه، ثم يأتيك الفرج حين يقول لك أن طوابع الاستمارة الورقية هي ألف ليرة ستدفعها وتركب الحافلة وتتابع السير أيها اللاجئ على مر الزمان.

أيها اللاجئ، لا تتعجل، ستتوقف الحافلة عند حواجز لجبهة النصرة، وهؤلاء سيطالعون بطاقتك الشخصية مراراً دون أي كلمة ويتركونك تتابع هربك دون إعاقة، في الغالب ستكون الحافلة تَغصٌ بالفلسطينيين، فقلة هم السورين الذين يختارون هذا النوع من السفر شمالاً، معك في رحلتك لاجئون من اليرموك وخان الشيح، عائلات تعيد رحلة الأجداد مع الأحفاد، بعد النصرة ستقف على حواجز الجيش الحر أيها اللاجئ، فاحذر، سمعتك ليست بطيبة بينهم، فأنت قد تكون بنظر أحدهم شيعي قاتل اللّه والسنة وشتم الجماعة، واغتصب آلافاً من الأمهات، لن يغفر لك أي شيء بين أيدي عناصر الحر، وإن كنت لم تخدم في الجيش أو هارباً منه فلا ننصحك بالسفر، فالحر يطلب منك دفتر الخدمة الإلزامية، وإن وجدك فاراً سيجبرك على الخدمة في صفوفه، ستُذل هنا قليلاً من جديد، أو كثيراً من جديد، لا فرق، لكن لا تقلق أيها العزيز فهي ذات الفئة النقدية التي ستنجيك وتعود بك إلى مقعد الحافلة، ألف ليرة.

أيها اللاجئ، عند أشقاءك الأكراد ستجدُ أن قضيتك الأم قد التقت سراً بقضيتهم الأم، هم يحبونك لأنك فلسطيني فقط، سيسيرون الطريق لك، لكن عليك أن تقطع وصلاً منهم اسمه وصل الخروج من سوريا إلى تركيا، وصل لن تستخدمه ولن يطلبه منك أحد، هو فقط طريقة جديدة لتدفع ألف ليرة.

أيها اللاجئ العزيز، هنا يكون ليل آخر قد هبط عليك، ترجل من الحافلة فعليك الآن أن تتابع سيراً على الأقدام باتجاه تركيا، ستضيع منك بعض العائلات التي رافقتك من دمشق، فهي بطيئة في المشي وأنت خفيف ولن تراها بعد الآن، وسيطلق جنود أتراك النار عليك، لكن لا عودة أيها اللاجئ فتابع، لن يؤذيك الرصاص الجديد، ستصل إلى حيث تبغي، إلى قرية ما، ومنها ستستقل حافلة أخرى، تأخذك إلى محطتك الأخيرة، وتدخل تركيا فرحاً باللجوء الجديد.

أيها اللاجئ، حمداً للّه على السلامة، لقد نجوت مجدداً، كنت وستبقى منبوذاً في الأرض وناجياً فيها كذلك، فأنت قلّما تموت، فتش الآن عن منزل وتجنب الخيمة، ولا تتعلق بأي مخيم، فقد تخسره يوماً ما، لا تنتظر أي أرض ولا تقل إنها أرضك مهما أصرت على احتضانك، فأرضك أيها العزيز، تلك التي لم ترها إلا في كتاب ما، يروي عشيها بما تبقى من دماك.

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com